سنة ١٩١٥

امبراطورا النمسا وألمانيا والانقلاب — الموظفون بالمعية والاقتصاد — السندات والتحف التي استحضرها الخديو من مصر — عيد الجلوس الخديوي بالاستانة زياراتي لأعضاء العائلة الخديوية وما سمعته منهم — الارادة الشاهانية وتحديد مهمة الحملة على مصر — اخبار عن الحالة في مصر — نيات الأتراك نحو السلطان حسين — طعن الصدر في الخديو — فشل الحملة التركية على قناة السويس — مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا في الحرب العظمى — سفرى الى برلين ومهمتي بها — احاديث الحرب — تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز — الاعانات والمرتبات التي تقررت للبرنسات والحاشية — الشريف فيصل ومهمته في الاستانة للتوفيق بين العرب والأتراك — الخلاف بين الخديو ورجاله وخروجه من النمسا الى السويسرة — توجيه انذار لعباس — شؤون مختلفة .

امبراطورا النمسا[1] وألمانيا[2] والانقلاب : أرسل الخديو فى صباح يوم أول يناير سنة ١٩١٥ برقتين للتهنئة برأس السنة لأمبراطورى ألمانيا والنمسا متمنياً لهما الظفر على أعدائهما . وكذلك أرسل برقية تهنئة لملك ايطاليا

وفي يوم ٢ منه توجه لمقابلة امبراطور النمسا فى قصر شنبرون ، فلما مثل بين يديه حيا سموه تحية لطيفة ، وأظهر له أسفه لتصرف الانجليز معه ، فأجاب سموه : « إننى في مدى ثلاثة وعشرين عاما حكمتها فى مصر ، كنت أعمل بنصائح جلالتكم التي تلقيتها عند مبارحتى مدرسة الترزيانوم لتولى الخديوية المصرية سنة ١٩٠٢ . فقد قلتم لى جلالتكم إننى سأجد صعوبات في الحكم . كما وجدتم جلالتكم في النمسا »

---

(١) صورج ٢ ق ١ ص ٢

(٢) صورج ٢ ق ١ ص ٢٦٩

وإنه يجب على الصبر والجلد فى تذليل الصعاب . وبالفعل صادفنى صعوبات شديدة فى معاملة الإنجليز للمصريين ولشخصى ؛ فكنت أدافع عن صوالح بلادي ، على قدر إمكانى ؛ ولهذا كانوا يعدوننى غير مخلص لهم . ولما نشبت الحرب ، حاولوا إقناعى بالسفر الى إيطاليا ، لأنها أقرب لمصر من الاستانة ، ولو أنى أطعتهم ما عزلونى . ولكن التربية التى تلقيتها فى الترزيانوم تحت رعاية جلالتكم ، والتى هى مؤسسة على الصدق فى القول والعمل وحفظ الكرامة ، وعزة النفس ، هى التى منعتنى أن أقبل نصائح الانجليز ؛ وأرجو أن تكون نتيجة الحرب ، نصراً لجيوش جلالتكم وحلفائكم فينتصر الحق على الباطل »

وكان الامبراطور يصغى لحديث الخديو مسرورا . فلما انتهى رد عليه قائلا : « إن شاء الله نفوز بالنصر ولو أن أعداءنا أشداء » .

وقد وردت فى اليوم نفسه برقية من جلالته بالشكر للخديو مع تمنيه أن يفوز الحق على الباطل . وكذلك وردت برقية أخرى بالشكر فقط من امبراطور ألمانيا والعنوان في البرقيتين « عباس حلمى الثانى خديو مصر »

وحتى يوم ٣ يناير لم يرد رد ملك إيطاليا وسافرت أنا إلى الاستانة

الموظفون بالمعية والاقتصاد : رأى الخديو بمناسبة الحالة الجديدة ، التى لايعرف مداها أن يجرى اقتصادا فى النفقات ، فأمرنى بالسفر للاستانة ومعى أوامر للمستخدمين الملكيين والعسكريين و « الخدمة السائرة » فى جبوقلى والضلمان لتنفيذها بواسطة عبد الله افندى البشرى ، وهى تتلخص فى أن كل من أراد منهم الرجوع لمصر يرحل إليها ، وأن يعود ألماس أغا لمصر فيرسل الخادمات اليونانيات والتركيات اللواتى فى قصر القبة إلى رودس (١) بلدهن ، وأن أكاف جلال الدين باشا قبو كتخداى الخديو وصهره أن يقتصد في نفقات داخل الحريم ، أما موظفو القبو كتخدائية فانه إذا ورد للبنك العثمانى أمر من مصر بقطع مرتباتهم فمن يرد الرجوع لمصر منهم يرحل إليها . وأن أخبر عارف باشا رئيس الديوان التركى بأن وظيفته أصبحت ملغاة نتيجة للانقلاب الذى حصل في مصر حتى تعبر الجنود العثمانية القنال وأن أصرف له خمسين جنيها

وفى يوم ٣ يناير سافرت لتنفيذ هذه الأوامر فوصلت الأستانة يوم ٦ منه

---

(١) ولكن ألماس أغا لم يستطع السفر لهذه المهمة

ولما قابلت ألماس أغا وأبلغته الأمر الخاص به تردد فى الذهاب ، وأخيراً أظهر القبول إذا لم يكن هناك مانع من الحكومة المصرية ، فقلت له : إننا سنسأل عن ذلك بواسطة سفير أمريكا

وساطة سفير أمريكا في عودة بعض الموظفين لمصر : وفى يوم ١٠ يناير قابلت السفير ، وحادثته فى الوساطة لرجوع بعض الموظفين المصريين الملحقين بالخديو لمصر ، فوعد ببذل السعى اللازم

وفى يوم ١٤ منه جمعت فى جبوقلى الضباط والملكيين وسألتهم عما إذا كانوا قد تشاوروا بينهم فيما يلزم عمله لصالحهم ؟ وطلبت منهم إبداء رأيهم دون أن يحول في خاطرهم أن الغرض هو التخلص منهم ، أو استثقال وجودهم ، وأن كل من لا يود الرجوع لمصر يبقى على الرحب والسعة وسراى الخديو هى منزلهم ، وسموه يخصص لكل منهم شيئا من النقود لنفقاته الخاصة

وبعد الأخذ والرد اقترحت عليهم أخذ رأى سفير أمريكا فى ذلك ، فاتفقوا على أن يكلفونى القيام بهذه المهمة ، وأن اسلم له بيانا بأسماء الموجودين منهم هنا وفى الضلمان . فاذا رخص لهم من مصر في الرجوع ، ومنعت الحكومة العثمانية سفرهم فانهم يراجعون السفير فى ذلك ، ليخطر مصر وبذلك يحفظون حقوقهم

وفى يوم ١٥ منه قابلته وسلمته بيان الأسماء ، فوعد بالمخابرة فى شأنها

وفى يوم ١٧ منه أخبرنى بنجاحه فى مخابرة مصر والترخيص لمن يريد السفر منهم فى العودة . وبعد أن سافر ثلاثة منهم وردت أوامر أخرى ببقائهم فى الاستانة الى نهاية الحرب

وقد كان لهذه المساعى أثر طيب بالنسبة لهؤلاء الموظفين ، فحفظت لهم حقوقهم مدة الحرب ، وسلمت لهم مرتباتهم فيها بعد رجوعهم ، وحسبت لهم فى المعاش ، وحفظوا لى هذا الجميل

البنيات والتحف التى استحضرها الخديو من مصر : كلفنى الخديو وأنا مسافر للاستانة يوم ٣ يناير أن أرسل له مفاتيح الصناديق التى أحضرها معه لفينا من الاستانه وفيها أسهم البنك العقارى واسهم البيان فون وشركة الازبكية المصرية البلجيكية (وكان سموه استحضرها من مصر بعد سفره) . والغرض من أخذها فى فينا هو إيداعها البنك السويسرى فى برن

وقد كان مطلوبا كذلك إصلاح تركيبات « الشبوكات » وهى من الكهرمان (الكهرباء) المرصع ، لأن بعض الفصوص محلولة

فكلفت عند وصولى للاستانة عبد السلام ظافر افندى معاون القبوكتخدائية أن يخبر جلال الدين باشا ليرسل المفاتيح ؛ وأن يقوم هو بأصلاح التركيبات المشار اليها وإرسالها

عيد الجلوس الخديوى: فى يوم ٨ يناير كان عيد الجلوس الخديوى فاجتمع ضباط المحروسة ومستخدموها والياوران وعارف باشا وجلال الدين باشا ومستخدمو القبوكتخدائية ويوسف ضيا باشا [١] (رئيس الياوران سابقا) فقيدنا أسماءهم ، وأرسلناها لدولة الوالدة مع تمنياتنا بأن نهنىء سمو الخديو فى السنة الآتية بسراى عابدين ؛ فردت دولتها بالشكر

ثم أرسلت ليوسف صديق باشا [٢] فى فندق امبريال بفينا ، البرقية التالية :

« إن المصريين الكثيرين من الضباط والملكيين احتفلوا هنا بهذا اليوم ، وبالاصالة عن نفسى والنيابة عنهم أقدم إخلاصنا للعتبات الخديوية »

وفي يوم ١٢ منه تلقيت من الشيخ على الغاياتى [٣] خطابا من جنيف بتاريخ ٨ جاء فيه :

« يذكرنى هذا اليوم بعادتى فى كل عام من تقديم عبارات التهنئة والاخلاص إلى مولانا العباس ؛ ولكنى أذكر بملء الأسف ما قضت به الأقدار فى هذا العام مما لم يكن فى الحسبان ، من التغيير الكبير فى شكل الحكومة الحاضر ، الذى سنسير ولا محالة من طريقه إلى الاستقلال التام في يوم من الأيام .

إلا أننى كنت أود أن يكون سموه على رأس هذه الحكومة سلطانا عظيما على وادى النيل ، يجدد لنا فى عهده أيام السلاطين العظام ، ويعمل بما عهد فيه من الذكاء والغيرة على تقدمه واستقلاله .

ولا ريب أن السلطة المحتلة ، وعظمة السلطان الكامل ، وجميع ذوى الشأن فى مصر ، كانوا يودون ما كنت أوده لسموه حفظه الله ، حتى لا يحدث تغيير ولا تبديل فى شخص ولى الأمر الأعظم ؛ ولكن قضت السياسة بما قضت ؛ وكان لوجود سموه

---

(١) صور ج ٢ ق ١ ص ٢١
(٢) صور ج ٢ ق ١ ص ١٩١
(٣) صور ج ٢ ق ٢ ص ٢٣١

بالاستانة فى تلك الظروف تأثير كبير فى الحالة الحاضرة ، لأسباب لا تخفى . وعلى كل حال فالحمد لله على ما بقى من السلطة العليا فى بيت محمد على ، مصلح مصر الكبير ؛ فان فى ذلك تعزية كبرى ، وأملا عظيما سيتحقق بارتقاء عظمة السلطان حسين الأول على العرش العلوى ، وببقاء الامر فى يد هذا البيت الكريم . ومولانا العباس أعرف بذلك ، وأولى بتقديره والعزاء به ؛ فان حق الاسرة من حيث هى ، قد روعى وزيد فيه ، ومصلحة البلاد لم تنل سوءا قط ، والامل فى المستقبل قد ترعرع وأزهر ؛ وما كان يرجى من الامير قد أصبح يرجى من السلطان . ولا بقاء فى الحقيقة للاشخاص ، وإنما البقاء للاعمال ؛ فلسموه خير تعزية قلبية .

« ولا غرو إن هنأته مع ذلك بانتهاء الامر على هذه الصورة المرضية . وعلى أية حال فانى أكرر تهنئتى لذاته المحبوبة بماضيه المجيد ، وبما سلف من جميل أعياده ومشهود أيامه ؛ وأسأل الله أن يهبه الصحة والطمأنينة ويوفقه للرضاء بالمقادير »

زيارتى لأعضاء العائلة الخديوية : فى يوم ٨ يناير زرت منزل البرنس على بك فاضل . وتركت له بطاقة أبلغه فيها تحيات الخديو ، ثم مررت بأسرة البرنس عمر طوسن وأرسلت سلام الخديو لها ، وسألت عنه وعن أخباره ، فردت شاكرة وقالت : إن «أخباره طيبة» . وقد أبلغتها أن الخديو كان قد فكر فى إرسال مندوب لمرسيليا للاطمئنان عليه ، ولكن خشى أن يناله مكروه بسبب ذلك ، لأن الخديو معتبر عدواً لفرنسا الآن .

ثم قابلت البرنسيس فاطمة اسماعيل وفائقة هانم أفندى ، وأبلغتهما تحيات سموه فتلقتا السلام بالشكر والدعوات الصالحة ، وقالت البرنسيس فاطمة إنها مرتاحة لوجود الخديو فى أوربا ، وأنه سيبقى فيها حتى يتم الصلح .

وبعد ذلك توجهت إلى البرنس ابراهيم باشا حلمى ، وأبلغته سلام الخديو ، وتحذيره له من الكلام بشىء من خطط سموه أمام حاشـية الصدر ، لأن رجالها جواسيس الانجليز ، والكتاب الأبيض الانجليزى شاهد بذلك .

وفى ١١ منه كنت على موعد معه ، فقابلته في ميركون وفى هذه المقابلة أظهر لى استياءه مما سمعه من عقيل بك يسرى ، من أن الخديو قال له : إنه فى هذه الأوقات الحرجة ، لم يجد بين «البرنسات» من هو أخلص وأصدق له من على بك فاضل فتألم البرنس ابراهيم حلمى من هذا التصريح ، لأنه يعتقد بحق ، أنه هو الذى أظهر

الاخلاص والصداقة الحقيقية لسموه . ثم قال البرنس : إن عقيل بك أبلغه كذلك أن الخديو لايفكر إلا فى ملذاته ؛ وأنه حصل على أربعة آلاف جنيه بواسطة عبدالحميد بك شديد فى روما . فطمأنته وقلت له : إننى أعرف من عقيل بك بحقيقة احساسات الخديو ، وأنه لولم تكن لسموه ثقة تامة بدولته ماعزم على تعيينه قائمقام له فى الحملة على مصر

وفى ١٦ منه قابلته منفردا ، وأفهمته أن عقيل يسرى حضر عندى أمس ، وأكد لى أنه قال : إن البرنس على بك فاضل ، أصدق البرنسات من عائلة مصطفى فاضل لأن الكلام كان دائراً حول البرنسين حيدر وكامل فاضل ، وأنه لم يتكلم بشىء عن الخديو كما يدعون عليه ، فقال دولته : إننى سمعت هذا الكلام من عبد الرءوف بك يسرى



عبد الرءوف بك يسرى

وفى يوم ١١ فبراير توجهت الى بيك فقابلت الوالدة نحو ساعة ، أخبرتها فى خلالها بتأكيد سفير ألمانيا مسألة عودة الخديو لعرشه ، وبقرب صدور ارادة شاهانية تحفظ امتيازات مصر ، فسرت بذلك ثم قالت : « وبما أن الصدر يتوقع حصول أمور من أفندينا تغضب المصريين فعلينا أن نتلافى ذلك ؛ وأن يترك الأمور التى تمس بسمعته ، ويلتفت للبلد » ، فقلت لها : « ياسيدتى أنا أقسم لك أنه إذا لم يفعل كما تأمرين ، فأننى أترك خدمته » فتأوهت وقالت : « فليراع شيخوختى وليستقم فى أحواله حتى أستريح وأموت راضية » ثم قلت لها : « إن لى رأيا ، وهو أن يطلب الخديو من الحكومتين الألمانية والنمساوية بعض الأخصائيين لاستخدامهم مستشارين فى النظارات ، وينتخب نظارا مقتدرين ومخلصين ، وفى مدة الاحتلال التركى يترك لهؤلاء الرجال التصرف ، ولا يتدخل سموه فى شىء ، حتى لايقال عنه إنه عمل كذا وكذا ، لأن الوقت الحرج هو وقت وجود الجيش التركى في مصر » . فوافقت على رأيى ، ثم دعت للخديو بالتوفيق ، وكلفتنى حمل تحياتها له وتقبيل وجنتيه .

وفى يوم ١٥ منه كنت قد عدت لفينا وقابلت الخديو ، فأبلغته تحيات الوالدة والبرنسيسات ، والبرنس ابراهيم حلمى

وقد لاحظ سموه أن الوالدة تركت نفسها بدون نقود كافية ، وكان يمكنها أن ترسل احدى «القلفوات» لمصر لتخبر الوكيل بأن يبعث لها ورق بنكنوت مصرياً إلى أوربا ، أو بواسطة بنك دى روما ، ليحول المبلغ إلى فرنكات ، ويصرف للوالدة فى الاستانة ورق بنك نوت تركيا . فقلت لسموه : وهل هى تلم بهذه الأمور ؟ قال : كان على وكيلها أن يتدبر الامر . ثم قال بتهكم : ها هى ذى الحكومة المصرية تصرف لها وللسيدة خانم افندى (زوجته) مرتباتهما ! فسألت سموه ، من أين علم بهذا ، فأجابنى ، من ابراهيم بك راتب ، الذى طرده الانجليز فحضر للاستانة ، وقال : إن السلطان حسينا زاد مرتب البرنس عزيز حسن إلى مائتى جنيه شهرياً بدلا من مائة . ثم أظهر استياءه من أعضاء العائلة بمصر وهم البرنسان حيدر وكامل فاضل والبرنسيسان فاطمة فاضل وزهرة حليم ، فانهم يحمدون ويشكرون على هذا التغيير ! الذى حصل بمصر ، والاخيرة تقول : «لم يصنع لنا الخديو عباس شيئاً نحمده عليه » ،

ثم أخبرنى الخديو أنه كتب الى البرنس ابراهيم حلمى رسالة لطيفة لتطييب خاطره ، مما سمعه من عقيل يسرى

الارادة الشاهانية وتحديد مهمة الحملة على مصر : فى يوم ٨ يناير قابلت البرنس ابراهيم حلمى ، فسألنى عما إذا كان الخديو يقبل العودة للاستانة ومنها يذهب لمرافقة الجيش العثمانى بصفته سردارا ، لأن الأتراك فهموا الآن ضرورة ذلك بعد الانقلاب الذى حصل في مصر ، وتبذل الآن مساع من محمد عزت باشا زوج فائقة هانم بواسطة جاويد بك لذلك . فقلت : ماأظن الخديو يرضى بأن يرأس الحملة ، والأحسن ترك هذه المساعى ، لتصنع الحكومة العثمانية ماتراه صوابا ، خصوصا وقد فهمت أن الصدر غير راض بذلك ، وأن الأصوب تعيين قائمقام خديوى لمرافقة الحملة خوفا من أن تطلب الحكومة العثمانية من الخديو

محمد عزت باشا

تعيين جمال باشا القائد العام قائمقام لسموه . فطلب منى البرنس أن أقابله بعد غد ليتكلم معى مرة أخرى ، بعد أن يروى الفكر فيما دار بيننا من الكلام

ارادة خديوية بتعيين البرنس ابراهيم حلمى قائمقام مرافقا للحملة : وفى يوم ١٠ منه قابلته ، وأطلعته على صورة الارادة الخديوية بتعيينه قائمقام خديوياً ليرافق الحملة نائباً عن سموه ، فوافق عليها . ثم قال لى : إنه فكر فيما قلته له فى المقابلة الأولى وأنه يجب التعجيل بصدور هذه الارادة ، وأما مايحتمل من انتقام الانجليز منه فى أملاكه بمصر فهو أمر لايهمه . ثم قال : « ولو أننى كنت أشرت عليك بسفر سمو الخديو مع الحملة ، إلا أننى الآن بعد ماعرفته من الحوادث الماضية ، وبعد ماسمعت من ثلاثة أشخاص أن فى النية القضاء على حياته ، لا أرضى له بأن يلقى بنفسه فى التهلكة »

الارادة الشاهانية : ثم تحدثت مع دولته فى ضرورة استصدار ارادة شاهانية بتحديد مهمة الحملة على مصر ، بأن ينص على أنها مرسلة لارجاع الخديو لعرشه ، ولارجاع مصر إلى ما كانت عليه قبل الاحتلال ، مع احترام الفرمانات . فقال : إن الأتراك لا يعملون عملا بطيبة خاطر ، ومن اللازم أن يتكلم الخديو مع الألمان ليجبروهم على إصدار هذه الارادة » . ثم ضرب مثلا لذلك : إجبار الألمان لهم على التصريح للخديو بالسفر من الآستانة إلى فينا وقد سبق ذكر ذلك

مقابلتى للصدر وشعوره نحو الخديو والسلطان حسين : وفى اليوم نفسه قابلت الصدر فلم أجد منه غطرسته وخشونته المعتادة مع رجال المعية الخديوية ، وتحدث معى ساعة كاملة ، وقد ابلغته تحيات الخديو وتهنئته بانتصار العساكر الشاهانية فى القوقاس فتشكر وقال : « إن الحكومة التركية مهتمة بالحملة على مصر وكادت المعدات اللازمة لاجتياز القنال تتم ، وعما قريب سيعود الخديو لبلاده معززاً مكرماً » وسألنى عن صحة سموه ، فأخبرته بتفاصيل حالته الصحية ، ثم قلت له : « ان الحفاوة التى يلاقيها سموه فى فينا تنسيه أكداره ، ولا سيما بعد الانقلاب » فقال الصدر : « نعم إن النمساويين أهل ذوق ! » ثم سألنى عن رأيى فى قبول البرنس حسين كامل للسلطنة ، فأجبت بأنه لا بأس من ذلك للمحافظة على الأريكة الخديوية فى عائلة محمد على ، وربما هددوه فى حالة عدم قبوله بضم مصر لانجلترا ، أو تولية غريب عن العائلة ، كما سمعت أن « أغاخان الهندى » كان مرشحاً لهذا المنصب . قال : « لا . هذا

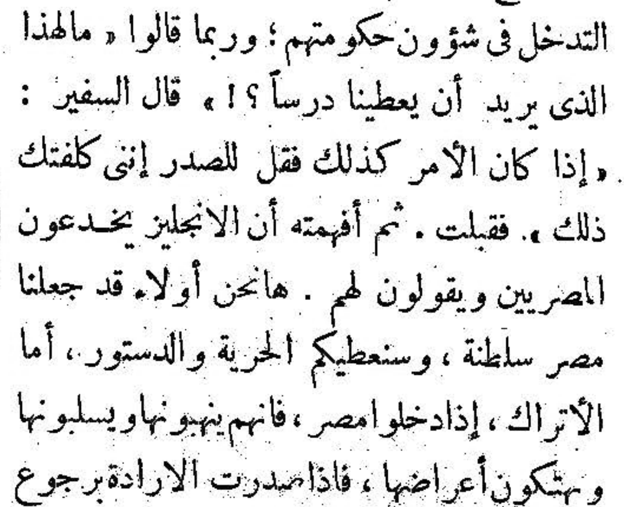
خطأ ، ولا يمكن اجراء هذا العمل من جانب انجلترا ، والروسيا نفسها حتى الآن لم توافق على الحماية . ثم قال : « الحقيقة هى أن الأمير مدين، وقبل هذا المنصب لسداد ديونه فقط »

وفى النهاية سألنى عما إذا كان الخديو ينوى الحضور للاستانة ، فأجبت بأنى لا أعرف ، فعقب على هذا بقوله : « سيعود إن شاء الله » ثم ودعته وانصرفت .

مقابلتى لسفير ألمانيا واقتراحى باصدار إرادة تحدد مهمة الحملة : وفى يوم ١٥ منه قابلت سفير ألمانيا ، ومكثت عنده ثلاثة أرباع الساعة ، أبلغتـه فى أثنائها تحية الجناب العالى ، وأخبرته بكل معلوماتى عن الحالة السياسية ، وبارتياح الخديو لوجوده فى فينا ، وصلاته بسفيرى ألمانيا والدولة وناظر خارجية النمسا ، وما دار فى الحديث بينه وبين امبراطور النمسا ؛ ثم تفاهمت معه بصفة شخصية فى ضرورة إصدار إرادة شاهانية ، يصرح فيها بأن الحملة السائرة الى مصر، إنما تذهب لارجاع السلطة الخديوية دون المساس بالامتيازات التى نالتها مصر من قبـل ؛ وما ينتجه هـذا التصريح من الطمأنينة ، ومن انجاح الحملة في مهمتها ومساعدة المصريين لها فوافقنى السفير قائلا : « نعم إن هذا ضرورى وأعضاء الحزب الوطنى بجنيف يلحون في ذلك ؛ وقد تحدثت مع الصدر فى هـذا الموضوع ، ونحن متفقون عليه » ثم طلب منى مقابلة الصدر والالحاح عليه فى ذلك . فقلت له : « لا . أعفنى من هذه المهمة لأن الأتراك لا يحبون



البارون ونجنهيم
سفير ألمانيا



التدخل فى شؤون حكومتهم ؛ وربما قالوا « ما لهذا الذى يريد أن يعطينا درساً ؟ ! » قال السفير : « إذا كان الأمر كذلك فقل للصدر إنى كلفتك ذلك ». فقبلت . ثم أفهمته أن الانجليز يخـدعون المصريين ويقولون لهم . ها نحن أولاء قد جعلنا مصر سلطنة ، وسنعطيكم الحرية والدستور . أما الأتراك ، إذا دخلوا مصر ، فانهم ينهبونها ويسلبونها ويهتكون أعراضها ، فاذا صدرت الارادة برجوع الحالة الى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ وبرجوع خديويهم المحبوب لبلاده ، فانهم لا يعبأون بخداع الانجليز . وبعد هذا سألنى السفير عما إذا كان الشعب المصرى يثور على الانجليز ، فأجبته بأن ذلك محتمل إذا نجح

الأتراك في عبور القنال ، لأنه في هذا الحالة يضمن الثائرون النتيجة ، ويأمنون الانتقام منهم . أما الآن فلا يجرءون على ذلك

وفى النهاية سألنى عن أيام مكثى فى الأستانة ؛ فأخبرته أن المنتظر أن أظل هنا حتى يلحق البرنس ابراهيم حلمى بالحملة نائباً عن الخديو ؛ فاستصوب ذلك بحماس قائلا « برافو » ! ثم استأذنت وانصرفت .

مقابلتى للصدر ورده على اقتراحى : فى يوم ١٦ منه ذهبت ومعى جلال الدين باشا وعارف باشا لمنزل الصدر فى استامبول ؛ فوجدنا عنده البرنس ابراهيم حلمى فقدمت للصدر نسخة من جريدة الأهرام فيها صور المخاطبات التى دارت بين شتهام متولى أعمال الوكالة البريطانية فى مصر ، وحسين رشدى باشا رئيس النظار بخصوص الانقلاب الأخير ، مع ترجمتها بقلم عارف باشا ، فأخذها شاكرا .

ثم قلت له : « إن سفير المانيا تحادث معى فى ضرورة صدور ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة على مصر ، وطلب منى أن أذكر فخامتكم بذلك » . وما كدت أنتهى من هذه الجملة حتى قال بحدة : « مالى أراكم تستعجلون هذا الطلب يا مصريون ؟ فمن منذ شهرين وأنتم تلحون علينا ! » . قلت : « إن هذا فى صالح الحملة حتى يطمئن الأهالى فى مصر » فقال « بل فى صالحكم أنتم ! » ثم قال : « هذه الارادة ستصدر فى حينها » فتحدث عارف باشا وجلال الدين باشا فى وجوب إصدارها . فقلت : « مادام فخامته قد وعد بأنها ستصدر فى الوقت المناسب فنحن نكتفى بهذا الوعد » وذلك لأسجل عليه ماقال ، وخرجنا .

مقابلتى لسكرتير جمعية الاتحاد والترقى :

بعد خروجنا توجهت انا وعارف باشا إلى نادى جمعية الاتحاد والترقى ، وقابلنا مدحت شكرى بك السكرتير العام ، فأبلغته سلام الخديو وتهنئته بانتصار الدولة ، وشرحت له حالة إيطاليا والنمسا ، والحفاوة التى لقيها الخديو فيهما بعد سفره فشكرنى على هذه المعلومات . ثم تطرق الحديث إلى الحملة التركية على مصر فحادثته فى ضرورة إصدار



مدحت شكرى بك

ارادة شاهانية تحدد مهمة الحملة حتى يطمئن أهالى مصر ، ويزول خوف ايطاليا كذلك ، فقال : « نعم هذا ضرورى ويجب إجراؤه »

مقابلتى الثانية لسفير ألمانيا : وفي يوم ٢٥ منه قابلت سفير ألمانيا فأخبرته بأنى أبلغت الصدر تكليفه لى فيما يختص بأمر الحملة ، فوجدت منه امتعاضاً ؛ وكنت أتوقع ذلك كما أخبرته ، أعنى السفير . فضحك وقال : « انما أجابك بأن الارادة ستصدر لامحالة فى وقتها المناسب » قلت : « والآن أنسب وقت ، لأن الجيش على حدود القنال » . وعرضت عليه صورة مشروع للارادة الشاهانية ، حضرته بناء على طلبه في المقابلة السابقة وهو :

أولا : « نظراً لكون انجلترا منعت الجناب الخديوى من الرجوع لمصر بدون حق ، فمهمة الجيش إرجاع سموه لعرشه . وثانيا : مهمة الجيش أيضا اخراج الانجليز من مصر واعادتها إلى ما كانت عليه قبل سنة ١٨٨٢ . وثالثاً : تعلن الحكومة العثمانية أنها لاتبتغى من زحف جيشها ضم مصر لولاياتها ، ولا احتلال البلاد ، بل احترام الفرمانات التى خولتها استقلالها الداخلى » وبعد الاطلاع عليها أعادها لى قائلا : « أبقها لوقتها ، وأننى سأقابل الصدر وأطلب منه الأسراع فى إصدار الأرادة » . وأخيراً أخبرته أن الأمر الخديوى بتعيين البرنس ابرهيم باشا حلمى لمرافقة الحملة ، قد أرسلت صورته للجناب العالى لتوقيعه .

ثم حادثنى عن حالة الجيش العثمانى فى القوقاس ، وأنها غير حسنة ؛ والجنود كانوا غير منتظمين حتى ذهب اليهم مدد منظم أخيراً ، ثم عرج على حملة مصر فقال : « إنها بعكس ذلك » .

نفقات القائمقام : وفى أول فبراير وصلت إلى أوامر من فينا بالبريد من بينها حجز ألف جنيه من المبلغ الموجود بالخزانة لنفقات سفر البرنس ابرهيم حلمى ، وأنه أرسلت لجلال الدين باشا صورتان موقع عليهما من الارادة الخديوية ؛ إحداهما للبرنس بانتدابه ، والأخرى للصدارة لاخبارها بهذا الانتداب

وقد ظن جلال الدين أنه مأمور بتوصيلهما ، مع أن الأوامر الواردة لى تقول بابقائهما عندى حتى يتقرر سفر دولته من لدن الحكومة العثمانية ، خوفا من امتناعها فى آخر وقت ، فلا يكون من المستحسن عدم تنفيذ أوامر الخديو ؛ خصوصاً وأننا سمعنا من فريد بك ، أن رئيس مجلس النواب لايرى ضرورة لهذا الانتداب

ولما قابلت جلال الدين باشا أخبرنى أنه سلم صورة للبرنس ابرهيم حلمى ؛ ولما سمع بالأوامر الواردة لى، تقرر أن نذهب ومعنا عارف باشا لمقابلة دولته ، وإخباره بالأوامر ، وبالفعل قابلناه فرد لنا الصورة التى تسلمها .

معارضة الصدر في تعيين القائمقام : ثم تقرر أن يذهب دولته للصدر لجس نبضه فيقول له : «ان الجناب الخديوى لما علم بقرب وصول الجيش للقنال سيرسل الارادة بتعيينى مندوباً من قبله ، فهل يرى الصدر مانعا من ذلك ؟ » ويرى كيف يكون رده !

وفى اليوم التالى تقابلنا : فأخبرنا أن الصدر لا يرى مانعا، ولكنه يلاحظ أن هذا العمل قد فات أوانه ، لأنه كان يجب قبل حدوث الانقلاب حينما كان للخديو قائمقام في مصر ، فكان يجوز له عزله وإقامة الأمير مقامه . أما الآن فانه يوجد فى مصر سلطان مناظر له ، فالواجب أن يسير بنفسه مع الحملة . فأجابه البرنس : «بأن الخديو كان قد عزم على مرافقة الحملة وأرسل رجاله ومعداته ، ولكن الحكومة التركية أرجعتهم ثانية . فقال الصدر « نعم حصل هذا لأن الوقت لم يكن قد حان . أما فى هذه المرة فسيطلب الخديو للسفر فى الوقت المناسب » . ولما سأله دولته عما إذا كان سيشار إلى ذلك فى ارادة تصدر من السلطان ؟ قال : « نحن لا نقبل شروطا مطلقا ، ونحن لا نرجو الخديو ، وفقط عندما يحين الوقت نكلف سفيرنا فى فينا بأن يطلب منه الحضور للاستانة للحاق بالحملة ، فان قبل كان بها ، وإلا فيعرف صالحه ونعرف صالحنا ! . أما إذا كان يعتقد بأنه يركب وابوراً من تريسته ويذهب لمصر كما حصل عند تعيينه فهذا لا يكون » ! . ثم سأل البرنس عما إذا كان فى النية ترك المصريين المرافقين للحملة الآن ، والذين هم أعداء للخديو ، أم ارجاعهم؟ فرد الصدر بأن هذه مسائل ثانوية تافهة ، لا يلزم ادخالها فى الشؤون الهامة . وانقطع الحديث بينهما بعد ذلك لدخول أحد رجال جمعية الاتحاد الميالين للخديو وهو عبد الحق بك الكاتب المشهور .

ولما أخبرنا البرنس بهذا الحديث فكرنا فى الأمر ، ثم قررنا أولا : أن جلال الدين باشا يكلف مالك بك المعين من قبل الجناب العالى للاتصال بجمعية الاتحاد —وهو من أعضاء مجلس إدارتها — أن يستعلم عما قررته الجمعية في صدد سفر الخديو فاذا عرفنا أن ما قررته مثل ما قاله الصدر سافرت إلى فينا لعرض الأمر على سموه ثانياً : نكتفى بما قدمته من البيانات بشأن الارادة . ثالثاً : السعى لدى المانيا والنمسا

لتأييد ما نطلبه ، ومن التوسط فى ارجاع المصريين المرافقين للحملة الذين هم ضد الخديو وقد بعثت للخديو بالتفاصيل

وفى يوم ٧ فبراير قابلنا مالك بك ، فعلمنا منه أن الجمعية لم تقرر شيئا بخصوص سفر الخديو ، فأخذت فى الاستعداد للعودة إلى فينا ، وللتفكير فى طريق آخر

المقابلة الأخيرة لسفير ألمانيا بشأن الارادة : وقبل السفر قابلت سفير ألمانيا ، وسألته عن الارادة الشاهانية ، فقال : «إنها ستصدر مختصرة ، وموجهة إلى المصريين يقول فيها السلطان : إنه أرسل الحملة لتخليصهم من يد الانجليز وإرجاع الحالة إلى ما كانت عليه مصر قبل الاحتلال »

فسألته عما إذا كان سيشار فيها إلى رجوع الخديو لأريكته فقال : « لا . لأن هذا قررناه مع الصدر» ثم قال : « وقد قلت له إننى باعتبارى سفيرا لألمانيا اتفقت مع سموه ومع أنور باشا على ذلك ؛ فلا محيص عن تنفيذ هذا الاتفاق ، لأنه لم يكن هزلا ولا لعبا » . فقال الصدر : « إنما أخشى ألا يسير سيرة طيبة حينما يجد نفسه بدون مراقبة ، فيسىء إلى المصريين فيتظلمون » .

قال السفير « وأنا قلت له ذلك ، لأننى أعرف أن الصدر يدعى وجود اتفاق بينى وبين الخديو ، فأردت بكلامى هذا أن أطمئنه من جهة ، ومن جهة أخرى أن يعرف تصميمنا على إرجاع الخديو لمنصبه ، وأنا متحقق من ذكائه واقتداره وهمته » ثم سألته عن رأيه فيما إذا طلبت الحكومة العثمانية سمو الخديو لمصاحبة الحملة فهل يقبل ، مع العلم بوجود بعض خصومه من المصريين معها ؟ فأجاب : « أما كلام الصدر للبرنس ابراهيم حلمى وتهديداته ، فلا معنى لها ، ولا يعول عليها ، ولا بد أنه طامع فى الخديوية » قلت: « هذا أمر معلوم إنما أسأل: هل الخديو يقبل مصاحبة الحملة ؟ » فقال: «قل له من طرفى : إنه يوجد من يحافظ عليه ويحب له الخير » قلت: « إن الأحسن إذا طلب من سموه السفر مع الحملة أن تبذل مساع فى ألمانيا ، للتأثير على الحكومة هنا ، بارجاع أعداء سموه » فقال السفير : « ما على الخديو إلا أن يقبض عليهم ويشنقهم فى مصر » ! فقلت : إن سموه لا يحب خلق مشاكل بينه وبين القائد العام بمجرد دخوله عاصمة بلاده » . وأخيراً كرر على أن أقول لسموه : « إنه يوجد من يحافظ عليه » وأن أقدم له احترام السفير

العودة إلى فينا : وقد سافرت فى صباح يوم ١٢ فبراير ومعى جلال الدين باشا

ووصلنا إلى فينا يوم ١٥ منه وقابلنا سموه ، واقتصر الحديث على ابلاغه التحيات التى كلفت إبلاغها له ممن قابلتهم بالآستانة

وفى اليوم التالى حضر جنابه إلى غرفتى ، فقصصت عليه بالتفصيل كل ما أحمله من الأخبار ؛ وهو منتبه أشد الانتباه ؛ وقد سر لما عرف أن الارادة ستتضمن النص على ارجاع مصر لحالتها قبل سنة ١٨٨٢ ، وان لم يأت ذكر لسموه فيها

صدور الارادة : وأخيراً صدرت الارادة الشاهانية ، ونصت فقط على تحديد مهمة الحملة بارجاع حالة مصر لما كانت عليه قبل الاحتلال ، والاحتفاظ بالامتيازات التى خولتها لها الفرمانات

أخبار عن الحالة فى مصر : فى يوم ١٧ من يناير توجهت لزيارة قاضى مصر التركى ، الذى عزل من منصبه ، وحضر للاستانة ، فعلمت منه أن الأهالى في مصر مستاءون من هذا الانقلاب ، حتى إنه عندما يدعو الخطيب فى يوم الجمعة للسلطان الجديد لا يؤمنون على الدعاء ؛ وأنه صدر الأمر إلى الخطباء باسقاط اسم الخليفة من الخطبة ، والاكتفاء بالدعاء « لخليفة المسلمين » دون ذكر اسمه ، كما كان المتبع ، وأن أول جمعة صلاها السلطان كانت فى مسجد السيدة زينب ، مع أنه كان ينوى الصلاة فى مسجد سيدنا الحسين ؛ وفى اللحظة الأخيرة بلغه وجود مؤامرة ضده ، فحول قصده ، وبقى رجال البوليس فى طريق سيدنا الحسين لايهام الناس أنه سيمر من هذا الطريق ؛ وأن رجال الحزب الوطنى الذين كانوا ضد الخديو ، قد أصبحوا فى صفه ، حينما تأكدوا أنه مضطهد من الانجليز ؛ وأن طلبة المدارس لبسوا أربطة رقبة سوداء إعلانا للحداد ؛ وأن الشيخ هارون من هيئة كبار العلماء أفتى بتحويل نظارة الأوقاف الخديوية إلى السلطان الجديد ؛ وأن الانجليز آذوا أحمد بك صادق لاتهامه بتبديد أموال الأوقاف

وفى يوم ٢٠ منه كنت في ببك فقابلت الدكتور مصطفى حسنى مورو ، الذى حضر من مصر بمساعدة قنصل أمريكا بها ، فعلمت منه أن السنوسيين استبدلوا بأسرى الطليان أسلحة ، واستعدوا للزحف على مصر ، ولهذا وضع الانجليز على الحدود من السلوم إلى بنى سويف جنودا انجليزية ؛ ثم توجه الجنرال مكسويل للفيوم ، وقابل مشايخ العرب ، وطلب منهم أن يحلفوا يمين الطاعة فلم يقبلوا أن


امين بك الرافعى

يؤدوها إلا للحكومة المصرية ، فاستاء الجنرال منهم وأمر المدير بحبسهم ، ولكنه أفهمه أن لكل شيخ من هؤلاء أتباعا بين المائة والمائتين ينتظرون عودتهم ، فاذا علموا بحبسهم حدث مالا تحمد عقباه ، فاضطر أن يأمر باخلاء سبيلهم . ولكن السلطان حسين فى يوم تتويجه تلقى وفد مشايخ العربان بشدة ، وقال لهم : « انهم صاروا مصريين لأن لهم عقارات وأطيانا ووظائف بالحكومة ، فهو من الآن لا يعرف عربا وفلاحين ، لأن الكل سواء فى نظر القانون » فساءهم ذلك . وأن الانجليز انتخبوا البرنس حسينا حتى يستعينوا بسلطته على استخدام الجيش المصرى للدفاع عن مصر ، ولكن لم يقع ذلك ؛ وأن الأهالى يستغربون قبول نظار الخديو للانقلاب والعمل مع السلطان حسين ؛ وأن عظمته طلب الأستاذ أمين الرافعى ، وكلفه أن يصدر جريدة الشعب ، فاعتذر بأنه لا يمكنه ذلك إلا إذا صدر أمر مجلس إدارة الحزب ؛ وأن السرايات الخديوية لم تفتش لأن الانجليز علموا أن الخديو أخذ جميع المستندات والأوراق المهمة ، ولم تصادر أملاك سموه لأنها مرهونة ؛ وأن المصريين يعتقدون أن الاتراك يصلون للقناة فى آخر يناير وأن الخديو اتفق معهم على استقلال مصر استقلالا تاما ، وأنه سافر إلى فينا للعمل على ما فيه صالح مصر مع الحكومة النمساوية والألمانية .

وفى يوم ١٥ فبراير علمت من الشيخ محمد عثمان أن ابراهيم بك راتب الذى حضر من مصر قابل سمو الخديو وأخبره أن الأمة المصرية بأجمعها تنتظر رجوعه بفارغ الصبر ، وأنها معه قلباً وقالبا ، وقال له بلهجة مؤثرة : « أنت قاعد هنا ليه يا أفندينا ؟ أمتك كلها تنتظر حضورك . حرام عليك تفوتها وهى متعلقة بك . . . » فبعد أن كان سموه في حالة يأس ، رجعت له قوته وأمله

وفى يوم ٢٥ منه قابلت الدكتور حسين همت وكان فى الأوقاف الخديوية

والدكتور نصر فريد من الحزب الوطني وعلمت منهما :

١ — أنه حدث حريق في غرفة الاستقبال الكبرى في عابدين ، أحدثه أحد الفراشين القدماء بقصد احراق السراي كلها ومنع السلطان حسين من التمتع بها .

وأنه ألصقت إعلانات تهديدية للسلطان بداخل سراي عابدين .



ابراهيم راتب بك

نيات الأتراك نحو السلطان حسين : في يوم ٥ فبراير علمت من البرنس ابراهيم حلمي أن الصدر قال في معرض الكلام عن مصر: « إذا لا سمح الله لم ندخل مصر فاننا نطلب في مؤتمر الصلح إرجاعها إلى ما كانت عليه بما في ذلك عزل الأمير حسين ؛ وإذا دخلنا فاننا سنشنقه أمام ضولمه بغجة . أما طلعت بك ناظر الداخلية فيرى أن هذا المكان ليس به مارة كثيرون ويستحسن شنقه على الجسر » !

بين الصدر والخديو : في يوم ٥ فبراير قابلت البرنس ابراهيم حلمي فعلمت منه أنه دار كلام بين محمد عزت باشا والصدر ، الذى أكد عودة الخديو لعرشه ، ولكنه قال : « إنما أخشى أنه بمجرد أن يصل إلى قصره في القبة يبتدىء في أعماله السابقة غير المرضية ، فيأسى الأهالى على عهد الاحتلال الانجليزى » فأجابه عزت باشا : هذا لا يمكن لأن الخديو ذكى ويفهم أن العهد الحالى ليس كالعهد الماضى . قال الصدر . « أنا أشك في ذكائه ، وأتوقع حصول مخالفات تجرنا إلى نتائج سيئة »

وفي يوم ٢ ابريل قابلت البرنس في ميركون فأخبرنى أن الصدر مستاء جدا ، لأن ابراهيم بك راتب قال له : « إن الجناب الخديوى يتهمه بأن الانجليز رشوه بمبلغ ١٤٢ ألف جنيه حتى تمتنع الدولة عن دخول الحرب ، وأن الانجليز مخطئون في تعيين السلطان حسين على مصر ، ولو عينوا الصدر لأمكنه إثارة اليمن ضد الدولة ». وأن دولته أجاب على كلام الصدر بأن هذا لا يمكن أن يقع من الخديو ، فرد بأن قائل

هذا الكلام من المتسببين لسموه وله علاقات بحاشيته . ثم إن الصدر أرسل لسفير الدولة فى فينا يطلب منه أن يسأل الخديو عما ينسبه اليه ابراهيم راتب ؛ فجاء الرد بنفيه وعلمت أن تقرير السفير كان فى صالح الخديو .

قال البرنس : والصدر يخلق الفرص للطعن في الخديو ، وكان يوما فى النادى الشرقى مع سفير ألمانيا وعزت باشا ، فدار الحديث عن المصريين فقال : « إنهم كخديويهم لايساوون شيئا » وهو كثيرا مايحتد ويصيح قائلا : « نعم هو الخديو الشرعى ، على رأسنا ! ، وأنه يعود إلى عرشه على رأسنا ! ولكن تصرفاته سيئة » .

وفى يوم ٩ منه كنت مع الدكتور نصر فريد والدكتور سيد كامل ، وبينما نحن نتحدث حضر ابراهم بك راتب ، ودار الحديث حول مصر والمخلصين لقضيتها والدسائس بين الخديو والصدر ، فوجهت الكلام لراتب بك فيما بلغ الصدر من حديث الخديو نقلا عنه ، كما أبلغنى البرنس ابراهيم حلمى ، فقال مستغربا : « هل البرنس ابراهيم قال ذلك ؟ » قلت : « نعم . وربما كانت دسيسة ضدك حتى يبعدوك عن الخديو » فلم يوافق على هذا الكلام ، واكتفى بالسكوت ، إلا أن عدم تصريحه بالنفى أو ابى من ناحيته . فقلت : « يسوؤنى أن أجد دسائس تقوم بين عظيمين يديران دفة مملكتين اسلاميتين مهمتين ، لأجل تفريقهما ، مع أننا فى وقت نحتاج فيه إلى الوفاق ؛ ولعنت الدساسين الذين ليس من ورائهم إلا الخسارة » . ثم قلت : « يوجد بين محبى الطرفين من يمكنه أن يزيل هذا الشقاق ، فلماذا لا نسعى للوفاق ؟ إننى أعمل لهذا » . فقال راتب بك : « أما أنت ياباشا فانه معلوم أنك تحب الوفاق » . قلت : « وأنا أعرف واحدا محبا للجانبين ، ومخلصا لها ، ويستطيع التوسط في هذا الموضوع ، وهو عماد الدين بك . فليفعل » قال راتب : « إن من طبيعة الصدر ، أنه إذا رسخ فى ذهنه شىء عن انسان فلا يمكن تحويله عنه ، يعنى أن الصدر على ثقة أن الخديو ضده ، ولا يمكن تغيير اعتقاده

وفي هذا اليوم قابلت سفير ألمانيا وساقنا الحديث إلى الكلام عن الصدر وما يشيعه من اتهام الخديو له ، فأبلغته نفى راتب بك للخبر ؛ فأخبرنى أن رجال الدولة والسلطان وزوجة الصدر نفسه ينتقدون خطته

وفى يوم ١٣ منه أخبرت البرنس بحديثى مع راتب بك فاستغرب ، وقال : « هل الصدر إذن كذب في ادعائه ؟ » قلت : « لا أظن . ولكن ربما لم يبلغه ما

بلغه من راتب رأسا ، بل بواسطة جعلت من الحبة قبة » فقال : إن « هذا الشاب لما حضر للاستانة قال : « علمنا ونحن فى مصر أن الخديو متفق مع الخلافة ، ومتحد مع رجال الدولة ، ولكنى أسفت لما علمت عند حضورى بأنه فى شقاق مع الصدر الذى يقول عن سموه كذا وكذا » . ثم أخبرته بما قاله لى سفير ألمانيا عن الصدر فقال : « انه خرج عن حد الاعتدال ، حتى أنه أصبح يصيح بأعلى صوته أمام المأمورين فى الصدارة قائلا : « هل تقبلون أن يدعى الخديو على أنى ارتشيت من الانجليز ؟ ! »

وفي يوم ١٨ تناولت الغداء مع محمد عزت باشا ، فأبلغته نفى ابراهيم بك راتب لما قيل من أنه هو الذى أبلغ الصدر كلام الخديو عنه ، فرد مؤكدا بأنه قال هذا الكلام شخصياً للصدر مرتين .

وفى يوم ٨ مايو كنت مع حسين حلمى باشا سفير الدولة فى فينا ؛ وجاء ذكر الشقاق بين الخديو والصدر ، فأظهرت له أسفى لهذا الشقاق فى وقت يجب فيه الوئام ، وأثنيت على السفير لأنه أرسل للصدر بنفى التهمة عن الخديو فى أسلوب لطيف ، فقال : « أنا كتبت مرتين » قلت : «ان الصدر الآن خفف وطأة الكلام ضد الخديو ؛ ومن الواجب على بصفة كونى مصرياً وعثمانيا أن أجتهد على قدر الامكان في انتهاز الفرصة المناسبة للتأليف بينهما . والآن توجد فرصة مناسبة وهى أن الدولة قدمت مساعدات لبعض الموظفين وأرباب المعاشات بحاشية الخديو ؛ فيصح أن يكتب الخديو رسالة شكر للصدر ، أو أن يرجو دولة السفير إبلاغ شكره ، فتتحسن العلاقات » . فاستحسن كتابة رسالة خطية لأنها تكون أوقع . ثم قال :



حسين حلمى باشا الصدر الاعظم

« ان بعض الحاشية يتفوه أحيانا بكلام ليس من الحكمة التفوه به ، فيحسب أنه

صادر من الخديو نفسه ، وأنه ذكر لحاشيته هذه الانتقادات فرددتها . وأنا لم أسمع من الخديو شخصياً أى انتقاد ؛ ولا يمكن أن يقدم رجل ذكى مثله على اتهام الصدر بالرشوة ، وإلا كان مجنونا »

وفى يوم ٢٣ مايو كنت أحضر جلسة من جلسات اللجنة التى كانت قد شكلت للنظر فى كل ما يهم الخديو وهى مؤلفة منى ومن فريد بك ويوسف صديق باشا و «ى» بك والاستاذ فهمى والأستاذ سيد كامل، فعرضت فكرة التقريب بين الخديو والصدارة بكتابة رسالة الشكر التى سبق الحديث عنها مع السفير ؛ ثم حضر الخديو الجلسة ففاتحه فريد بك بالحديث فى هذا الشأن ، وذكره أن هذا العمل يحسن العلاقات بينهما فأمنت على كلامه قائلا : « إن أفندينا يريد انتهاز الفرص من وقت لآخر للمخابرة بصفة كونه خديوياً مع الباب العالى ، وهذه هى فرصة مناسبة » وقال فهمى : « إن إظهار المودة – ولو ظاهرياً – ربما يمنع عنا ضرر حقده – أى الصدر – على المصريين » وأظهر «ى بك» أن من الضرورى كتابة هذه الرسالة . فقال الخديو : « إنكم تعملون معى كما كان النظار يعملون . فانهم كانوا يقولون لى : ياأفندينا نحن نساير الانجليز ونرضيهم لنمنع عنا ضررهم . وبعد أن أوافقهم ونعطيهم مايريدون ، يرجعون إلى قائلين : إنهم لم يمكنهم أن يستفيدوا من الانجليز شيئاً »

فقال الأستاذ فهمى : « إن النظار ربما كانت لهم أغراض . أما نحن فأننا لا نريد إلا خدمة البلاد »

وفى النهاية وعد الخديو على مضض بكتابة هذه الرسالة .

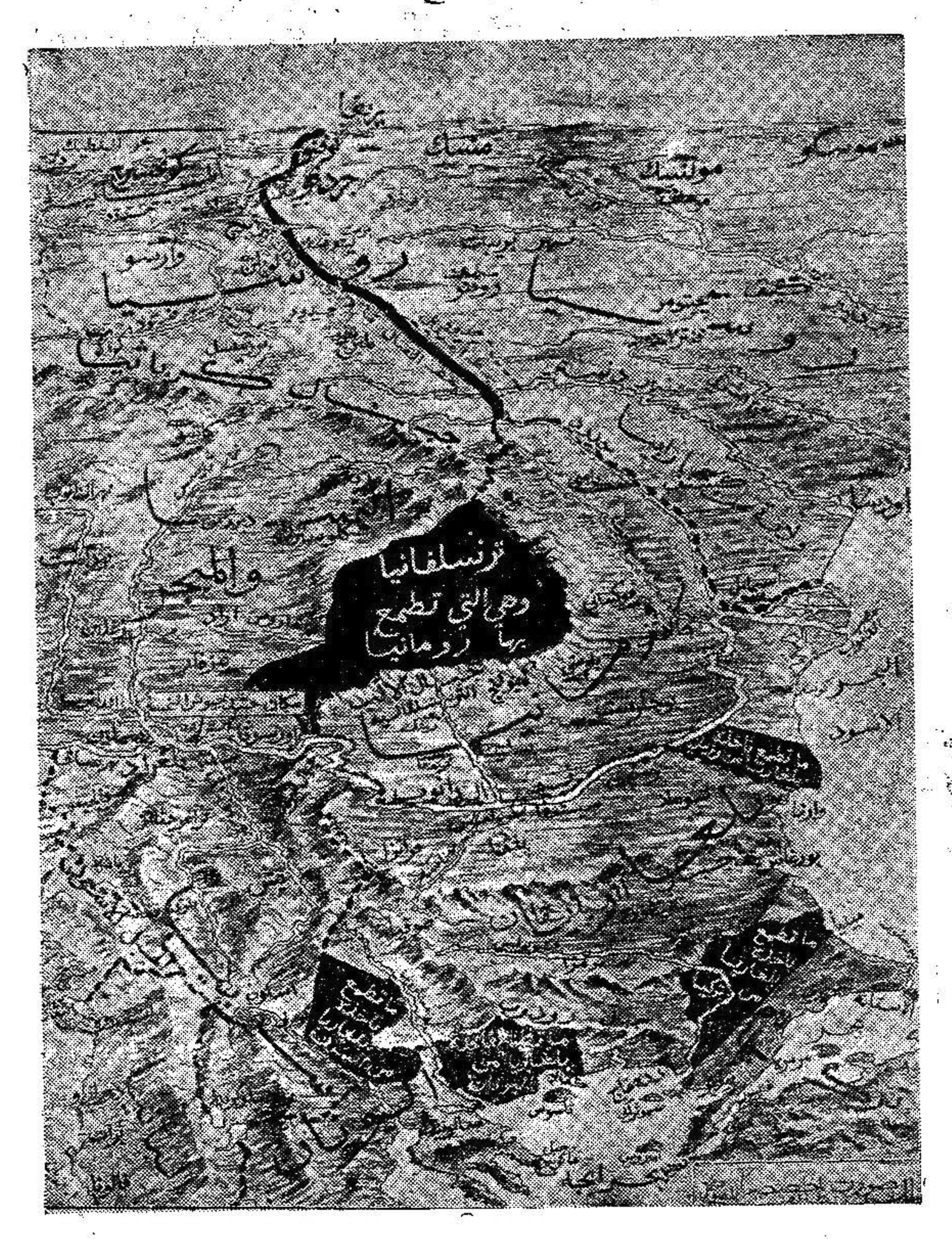
وفى اليوم التالى أمر سموه ثريا بك الألبانى من المقربين له بعد الحاح منى أن يحرر رسالة الشكر ، وقد وقع عليها سموه شبه مكره .

وسافرت للاستانة يوم ٢٥ ومعى هذه الرسالة . وكان فريد بك قد سافر اليها كذلك ؛ وتواعدنا على زيارة الصدر ، فزرناه يوم ٣٠ مايو ، وأبلغته تحيات الخديو وقدمت له الرسالة التى أحملها ، فأخذها شاكرا ، وكنت أحس أنه مسرور ، وأننى أفلحت فى مهمتى

فشل الحملة التركية على قناة السويس : جاء ذكر هذه الحملة فى مذكرات سنة ١٩١٤ ، والخطوات التى خطتها إلى نهاية هذه السنة . والآن نعود اليها لتفصيل ما تم بشأنها فى سنة ١٩١٥

فى يوم ٨ فبراير قابلت سفير ألمانيا في الآستانة فعلمت منه أن الجيش العثمانى

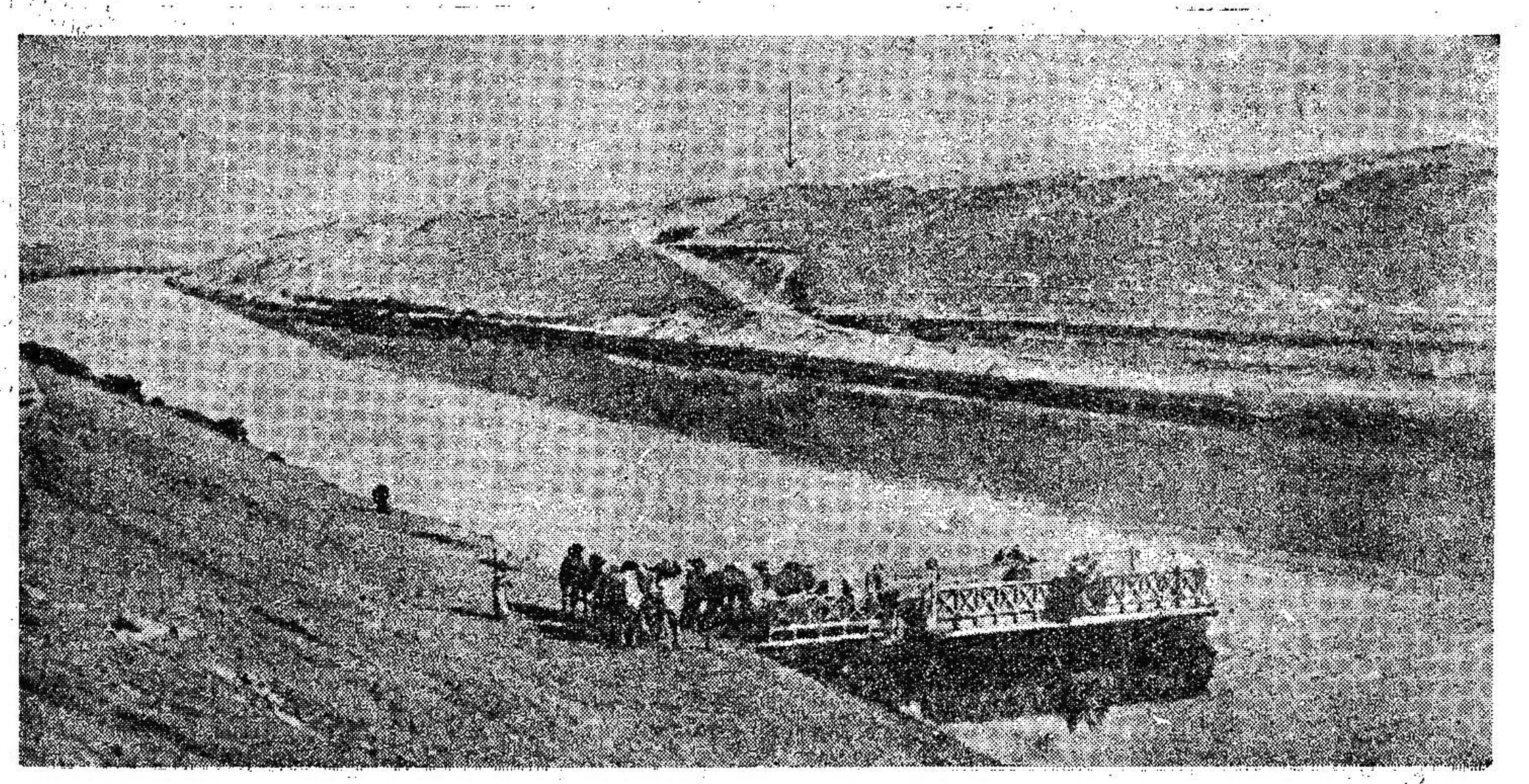
وعدده عشرون ألف جندى ، تقدم إلى القناة على خمسة أقسام ، ألقى أحدها جسراً نقالا فى نقطة بالقرب من الاسماعيلية ثم رجع إلى سينا تاركا خلفه ثلثمائة عسكرى



خريطة سير الحملة التركية (١)

لابد أن يكون الانجليز قد أخذوهم أسرى . وأن سبب الرجوع عدم كفاية القوة

(١) عن اللطائف المصورة



منظر فشل الأتراك على القناة

عن اللطائف المصورة

العثمانية الهاجمة ، ولكنها تمكنت من أخذ موقع مرتفع على بعد سبعة أميال من القناة . وهذه التجربة تدل على أنه فى الامكان العبور فى المستقبل ؛ كما أن « أركان حرب » الحملة وقد عرف حالة الدفاع الانجليزى سيدبر أمره على حسب المعلومات التى حصلها ؛ وسنرسل مدافع من عيار ٢١ سنتيمترا . وأقول لك بصفة سرية : إذا احتاج الأمر سنرسل جنودا ألمانية ، لأننا صممنا على محاربة الانجليز إلى النهاية ولو تم الصلح مع فرنسا وروسيا . لهذا سنهتم باتمام السكة الحديدية من برلين إلى القاهرة بين بوزانتى وقره قولاق لتسهيل النقل » ، ثم قال : « إن ألمانيا تعلق أهمية كبرى على هذه الحملة ولا بد من كسر الانجليز هناك » قلت « إنه ينتظر إذا هزموا أن يثور الشعب ضدهم فى مصر والسودان كذلك ، وأن الشيخ الطيب من أقارب قاضى الخرطوم أكد لى هذا العزم » فسر السفير لهذا الخبر .

وفى يوم ٢٥ منه علمت من الدكتورين نصر فريد وحسين همت من أخبار الحملة ما يأتى :

١ — ان الضابط المصرى المدفعى محمد توفيق افندى الذى كان ببطارية الاسماعيلية طلب اعفاءه من أداء واجباته ، فقبل ضابط مصرى أن يحل محله ، ولما وقع القتال على القنال رفض الجنود المصريون استعمال المدافع ضد الأتراك ، فأخذ الضابط نفسه يستعمل المتراليوز ، ولكن أصابته قنبلة أماتته فى الحال ، ولم يقبل ضابط آخر أن يحل محله



المرحوم الصاقول اغاسى الطوبجى
محمد افندى توفيق

٢ — يشاع أن الجرحى من الانجليز فى واقعة القناة نحو ثمانمائة والأهالى يقولون إن هذه مناوشة كشفية ، وأنها نجحت ، وأنه عند ما تتجمع قوى الأتراك لا يقوى الانجليز على دفعها ، ويهزأون بدعوى الانجليز أن الرمال كانت سببا فى تقهقرهم فى جهة الاسماعيلية

٣ — زار السلطان حسين جرحى الأتراك بمستشفى قصر العينى ، فسأل ضابطاً طرابلسى الأصل عن عدد جيش الأتراك ، فرد عليه قائلا : « وما مقدار قوة الانجليز ؟ فهل يمكنك أن تجيبنى ؟ »



جثث الاتراك والمصريين بعد حادثة العريش فى سنة ١٩١٥

فقال : « لا » فقال : « وأنا كذلك لاأستطيع إجابتك ! » فسأله السلطان : هل أنت مستريح للطعام بالمستشفى ؟ فأجابه : « ماجئنا لنأكل وليتنى مت في الموقعة » !

٤ — بعد موقعة القناة ابتدأ الأهالى يتخلون عن السلطان ، ويجاهرون بالعداء للانجليز والتجمع فى المقاهى على الرغم من وجود الجواسيس ، وأحس الانجليز خطورة مركزهم أمام الأهالى ، والبوليس المصرى يتظاهر بتنفيذ الأوامر ولكنه فى الحقيقه لا يعمل بها

مشروع انشاء مستشفى يحمل اسم الخديو : فى أثناء وجودى بالاستانة حضر الدكتور مورو اليها وفكر فى إنشاء مستشفى باسم « مستشفى الهلال الأحمر الخديوى » لمعالجة الجرحى الأتراك والمصريين من المصابين فى الحملة على مصر وغيرها

وقدعقداجتماع لبحث هذه الفكرة من بعض «البرنسات» المصريين والأعيان المقيمين بالاستانة ، وكنت حاضرا هذا الاجتماع تحت رياسة البرنس ابراهيم حلمى فاقترحت أن يتبرع جميع المصريين الذين يتناولون إعانات شهرية من خزانة الدولة بما يعادل ١٠ ٪ من مرتباتهم

وقد اعترض الدكتور صالح صبحى بك على المشروع بأن موارده المالية لا تسمح بتنظيمه والقيام بنفقاته ، واقترح أن تحول التبرعات للهلال الأحمر التركى ، وأورد محيى الدين بك جلال اعتراضاً آخر على اسم المستشفى ، مشيراً إلى الخلاف القائم بين الاتحاديين والخديو ، وعدم استحسانهم لأن يحمل المستشفى اسم سموه

فأجبت على الاعتراض الأول بأن المستشفى سيكون فى إحدى سرايات جبوقلى حيث تتوفر الأسرة والنور الكهربائى والمياه الصالحة ، وهذا يوفر كثيرا من المبالغ

ورددت على الاعتراض الثانى بأن الاتحاديين لا يزالون معترفين بخديوية عباس ، ولذلك لن يعترضوا على تسمية المستشفى باسمه .

وأخيراً انتهى المشروع إلى الفشل

مشروع خطير لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى :

تعرف الخديو بموسيو كايو وموسيو بولو : تعرف الخديو بباريس فى صيف



بولو باشا



الموسيو يوسف كايو

سنة ١٩١٤ برجل فرنسى يسمى « بولو » بواسطة يوسف صديق باشا وهو ينتمى إلى موسيو « كيو » الوزير السابق ، الذى عرفه الخديو كذلك عند ما كان فى باريس

وحدث أن أحد محررى جريدة الفيجارو ويدعى « كلمت » (شقيق الآنسة تالبوتيه معلمتى الفرنسية فى أثناء دراستى وقد عرفتنى به) نشر مقالا يتهم فيه موسيو « كيو » بالاختلاس وبخيانة وطنه لسعيه فى خدمة ألمانيا . فما كان من زوجته إلا أن ذهبت لهذا المحرر وأطلقت عليه رصاصة من مسدسها أردته قتيلا ، فقدمت للمحاكمة الجنائية .

وقد طلب مسيو « كيو » من الخديو أن يبذل نفوذه لدى رئيس محكمة الجنايات لانقاذ قرينته ، وعرف سموه به فى مأدبة خاصة . فسعى بجميع الوسائل لديه ، ومن ذلك أن وعده بالانعام عليه بنيشان كان يطمح إليه . وكانت النتيجة براءة مدام

« كيو » ، وأصبح زوجها من هذا الوقت يود أن يقدم خدمة لسموه رداً لجميله .

الخديو يعمل لحفظ العرش له أو للبرنس عبد المنعم : ولما نشبت الحرب رأى الخديو أن يستعين بموسيو « بولو » الذى أشار « كيو » على سموه باستخدامه ، للسعى فى لندن لدى « ربرتسون » أحد أصحاب النفوذ فى انجلترا للحصول على وعد من الحكومة الانجليزية بأنها تعيد الخديو لعرشه أو على الأقل تعامله معاملة حسنة بتعيين نجله البرنس محمد عبد المنعم بعد السلطان حسين

وقد قام « بولو » بهذا المسعى ، ولكنه أخفق فيه وقابله « ربرتسون » بخشونة ، وقال له : كيف تتحدث فى هذه الظروف فى شأن كهذا ؟ » وأمره بالرجوع من حيث أتى ، وإلا نبه الحكومة الانجليزية للقبض عليه .

تفكير بولو فى مشروع صلح انفرادى بين فرنسا وألمانيا : وفى ٢١ ديسمبر سنة ١٩١٤ كان « محمود خيرى بك » من الحاشية الخديوية بباريس ، فكلفه « بولو » أن يرسل برقية إلى « يوسف صديق » ليقابله فى جنيف

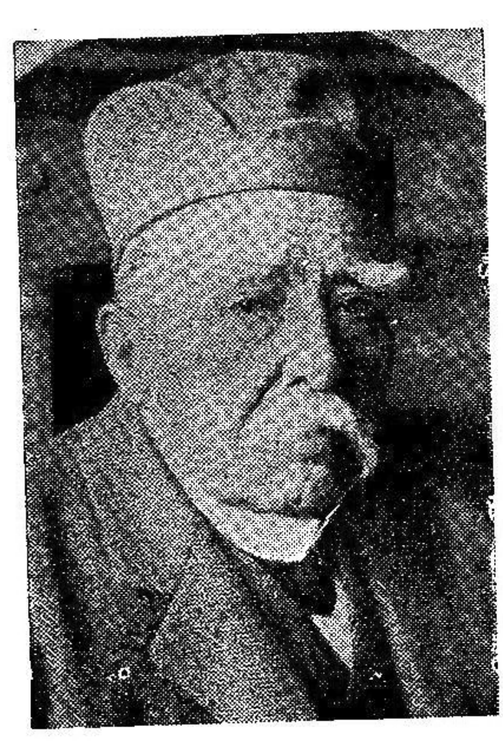
وفى ٢٩ منه تقابلا .ونقل عنه يوسف باشا مايأتى : —

إن حالة الجيش الفرنسى ليست على مايرام ، ولكن يمكنه المدافعة مدة طويلة ، والألمان لايرغبون فى محو فرنسا ، ولايقصدون إلا القضاء على نفوذ الانجليز .

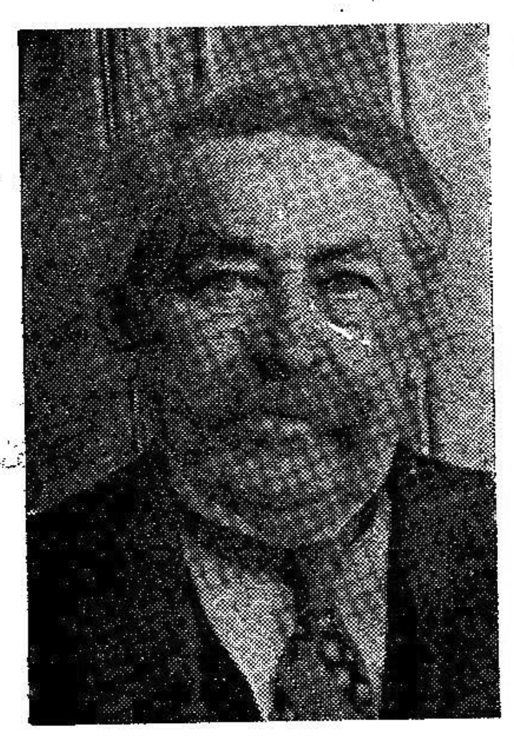
ولذلك فكر بولو فى مشروع خطير يقضى بتحسين العلاقات بين فرنسا وألمانيا للوصول إلى الصلح بينهما .وذلك باستمالة بعض أصحاب الصحف المهمة فى فرنسا وبعض كبار الفرنسيين مثل « بارتو » و « كليمانصو » و «بريان» ومساعدة موسيو « كيو » بنفوذه على أن يسير العمل سريا . ولهذا فكر في انشاء بنك كاثوليكى يكون شقيق البابا «الكونت دى لاكيزى» مديرا له ، وهذا البنك يقوم بهذا العمل بأمواله التى ستدفع من ألمانيا . ولو علم أنه فعل ذلك فلاحرج لأن من وظيفة البابا أن يعمل لصالح الانسانية الذى يقضى بوقف

مسيو بارتو

الحروب . وطلب من « يوسف صديق » ألا يبوح الخديو بسر المشروع لأى إنسان وألا يتحدث فيه إلا مع امبراطور ألمانيا نفسه ، لأن الفرنسيين لو علموا الآن شيئاً عنه لفتكوا به ، أما اذا تم فانهم يرفعونه فوق رءوسهم .



الموسيو كليمانصو



موسيو بريان

الخديو يعمل لمقابلة الأمبراطور : وقد وافق الخديو على هذا المشروع الخطير وبدأ يعمل لمقابلة الأمبراطور وعرضه عليه ؛ ولكن رجال تركيا كانوا يعاكسونه ويعرقلون هذه المقابلة ، خوفاً من اتصاله رأساً بالأمبراطور .

ولما يئس من المقابلة ، أرسل إلى برلين لاستحضار «البارون أوبنهايم» المستشرق الألمانى ، وكان بقنصلية ألمانيا فى مصر ، وأسر اليه المشروع كما أسره للسفير الألمانى فى فينا ، ولكن الموضوع أهمل ، ولم يهتم به أحد فى المبدأ ؛ ولم ترسل وزارة الخارجية ردها على السفير .

العودة إلى التفكير فى المشروع : وكان الخديو قد تعرف فى فينا برجل ألمانى كبير اسمه « سمرى » فدعا سموه لمأدبة تضم سفير ألمانيا فى رومه سابقاً وكان الخديو يعرفه ، فانتهز هذه الفرصة وحادثه فى المشروع فأظهر اهتماما كبيراً به ، وخاطب وزارة الخارجية الألمانية ، فورد له الرد بأن ألمانيا تقبل مبدئياً هذا المشروع .

عندئذ أرسل الخديو « يوسف باشا صديق » لمقابلة «بولو» فى رومة حيث كان يمهد لانتخاب شقيق البابا مديراً للبنك الكاثوليكى وإخباره بهذا الرد ، ثم مقابلة البارون « أوبنهايم » فى برلين وتعريفه بنتيجة المسعى .

تكليفى بمهمة خاصة بالمشروع : وبعد سفره تقرر أن أسافر إلى برلين لمقابلته عند عودته من رومه إلى برلين ، وإفهامه أن يخبر « أوبنهايم » بعدم نجاحه فى مهمته عن مشروع البنك فى إيطاليا ، وأن يقابل ناظر الخارجية ويعرض عليه تفاصيل الموضوع دون أن أرافقه أنا فى هذه المقابلة .

وقال لى سموه : « إن يوسف صديق سيسلمك رسالة لى » فقلت : وهل لايكفى طريق البريد العادى لحمل هذه الرسالة » ، فأجابنى بأنها ليست مما يرسل بالبريد ، وأنه سيخبرنى بالمسألة بعد ذلك (ولم أكن حتى الآن عرفت حقيقة المشروع) .

وقد سافرت فوصلت برلين يوم ١٧ فبراير وبقيت أربعة أيام انتظر يوسف باشا .

وفى يوم ٢١ حضر وأخبرنى أنه فشل فى مهمته بأيطاليا ، لأنه لما قابل بولو لأبلاغه رد نظارة الخارجية وجد المسألة فشلت ، نظراً لسوء التفاهم بين البابا وألمانيا بمساعى فرنسا من جزاء مسألة « الكردينال مرسينه » البلجيكى ... فأمر البابا شقيقه الذى كان قد اختير لأدارة البنك بالانسحاب ؛ ولكن ألمانيا اجتهدت بعد هذا فى تسوية المسألة ولم يتم شىء بعد ذلك .

ثم ذهبنا لمقابلة «أوبنهايم» فأخبره «يوسف باشا» بفشله فى مهمته ، ولم يذكر اسم «بولو» بل قال : إن الواسطة هو أحد المعارف ، فقال البارون : « أليس هو الرجل المسمى بولو الذى قال لى عنه الخديو » ؟ فأجابه نعم ! ، ولكنه دهش لأن الخديو كان كلفه ألا يعرف البارون باسمه !

موافقة وزير الخارجية على المشروع : وفى يوم ٢٣ منه تقابل « يوسف باشا » لأول مرة مع موسيو « ياجو » وزير الخارجية وشرح له مشروع فصل فرنسا عن حلفائها ، وعمل صلح انفرادى مع ألمانيا فاهتم الوزير بهذا المشروع وحدد للباشا يوم ٢٥ منه للكلام فيه ؛ ولما رجع من الزيارة علمت منه هذا المشروع الذى كان الخديو كتمه عنى ، وأن « ياجو » قبله ، وصرح باستعداد ألمانيا لأن تنفق عليه من عشرة مليونات إلى خمسة عشر مليون مارك على أقساط شهرية فى مدة سنة ، وأن يكون الدفع

باسم الخديو على أحد المصارف بسويسرا وهو الذى يتصرف حسبما يراه ، بحيث لا يعلم أحد أن هذه المبالغ آتية من ألمانيا أو النمسا

وقد فهم يوسف باشا ، أن ألمانيا كانت قد وجدت ايطاليا يقوم بعمل كهذا ولكنه لم ينجح .

وقد أعد يوسف باشا الخطاب بما تم فى المشروع ، وسلمه لى ، فسافرت به

ولما عرف الخديو بحضورى جاء إلى غرفتى فأخبرته بما لدى ، وسلمته الرسالة وبعد قراءتها ظهر عليه السرور وعندها أخبرنى بالمشروع

وقد أعلمته أن يوسف باشا أفهم أوبنهايم أن المشروع قد فشل ورجوت سموه أن يكتم الأمر عن صاحبته الفرنسية « مدام لوزانج » - التى تعيش معه في الفندق - وإذا كانت قد علمت فيخبرها بعدم نجاحه

وبعد التدبر قال سموه : « أنا لا أريد أن أكون مسئولا وحدى ؛ وربما يلعب يوسف أو بولو بقصد الانتفاع ، فلا بد أن أطلب وجود واحد موثوق به عند نظارة الخارجية ، ليكون العمل والانفاق باشتراكه معى . »

موافقة الامبراطور نهائيا على المشروع : وفي يوم ٢٧ فبراير عاد يوسف باشا وعرض على الخديو نتيجة مهمته ، ثم أخبرنا أنه قابل ناظر الخارجية مرة أخرى وفهم منه أنه قابل الامبراطور فوافق على المشروع بتفاصيله السابقة مضافا اليها أن الدفع يكون بواسطة أحد المصارف في زوريخ وأن النمسا قد تشترك في النفقات.

تخوف الخديو من يوسف : وبعد خروج يوسف باشا خلا بى الخديو وأعاد على ذكر مخاوفه من يوسف باشا ، قائلا : « إننى أخشى من تلاعب يوسف ، وأنا أعرفه ولا بد أن أقوم بهذا العمل بنفسى ، وأفهم بولو ألا ينخدع باقواله ، وأن يقطع كل صلة به ، ولكن كيف نمنعه من مقابلته قبل أن التقى به وأحذره ؟ » فأجبته بأننى على استعداد لمساعدة سموه فى منعه بطريقة غير محسوسة ، وما عليه - عند سفره إلى سويسرا للاجتماع ببولو - إلا أن يرسل لى برقية بالحضور اليها فوافقنى على ذلك .

سفرى إلى سويسرا : وبعد هذه الحادثة بيوم واحد سافرت إلى روما ومنها إلى سويسرا تمهيدا للاجتماع ببولو ، فقصدت أولا إلى جنيف ، وقابلت فيها على الشمسى بك والاستاذ فهمى

وفي يوم ٨ مارس قمت من جنيف قاصدا زويرخ بناء على أمر الخديو للاستعلام عن المسائل الآتية : —

اولا : هل يمكن للمقيم فى زويرخ التوجه إلى مدينة رورشاخ والعودة منها فى نفس اليوم

ثانيا : المدة والمسافة بين الذهاب والاياب

ثالثا : أحسن الفنادق فى رورشاخ

رابعا : المواصلات بين رورشاخ وبريجنز (فى النمسا) - براوبحرا - والاستفهام عن مسافة الطريق بالعربة والسكة الحديدية والبحر وعدد القطارات

وقد قمت بهذه الاستعلامات ، والغرض منها مقابلة بولو بعيدا عن يوسف صديق ، وسافرت من زويرخ الى رورشاخ . وفى صباح يوم ٩ وردت الى برقية بالرجوع إلى فينا حيث كان الخديو لا يزال بها ، وعلى أثر ذلك جاءنى ضابط « ليتحرى » عنى وعن سبب حضورى نظرا لهذه البرقية ، وقد أعطيته كل المعلومات ؛ ولم أخبره بوظيفتى ولا رتبتى ؛ ثم سافرت من رورشاخ إلى « بريجنز » ومنها إلى « أنسبروك » ووصلت إلى فينا صباح يوم ١١ مارس ، فعرضت على الخديو معلوماتى .

وقد تقرر أن أعود إلى جنيف ، فرجعت فى المساء مع اننى كنت متعبا ، ووصلت صباح يوم ١٢ منه . وهناك وجدت برقيـة إلى الدكتور همت أحد أطباء السراى واحمد بك صادق الذى رافقنى الى جنيف أن نسافر جميعا إلى زويرخ ؛ وننتظر فى فندق سافوى . وقد سبقانى ، وبقيت بعدهما لبعض مهام عائلية حيث كانت تقيم عائلتى ، ثم لحقت بهمـا يوم ١٣ وهناك سلمنى أحمـد بك صادق برقية من يوسف باشا في « سان جال » فى سويسرا بأن أرسل صادق بك والدكتور همت ونفر الدين أغا الحارس الخاص للخديو إلى رورشاخ غدا حيث يحضر سموه ، وقد سافروا فى اليوم التالى ثم لحقت بهم .

حضور الخديو ومقابلة بولو باشا : حضر الخديو يوم ١٥ منه وفى اليوم التالى خلا بى وتداولنا فيما يجب عمله لمنع يوسف باشا من الاجتماع ببولو : فهل نذهب جميعا إلى زويرخ أو نرسل لبولو بالحضور إلى سان جال ونقابله هناك ؟

وفى يوم ١٧ مارس أرسل الخديو يوسف باشا لمقابلة ناظر خارجية ألمانيا للتفاهم معه على طريقة العمل وصرف المال - فلم يعد هناك داع لمقابلة بولو بعيدا

عن زوريخ ـ فسافرنا من روزشاخ إليها ونزلنا في فندق سافوى وهناك حضر موسيو بولو ، وكان الخديو أمرنى بانتظاره فى الفندق ـ وأنا لا أعرفه ـ ولكنى رأيته يسأل قلم الاستعلامات فعرفته ، وأرسلت من يخبر الخديو بقدومه ، فنزل فى الحال ؛ ولما رآه بولو عانقه بحرارة ـ على الطريقة الشرقية ـ فجال فى نفسى أن هذا الرجل مخادع ، وأنه يتظاهر بهذا الأخلاص تظاهرا فقط لغرض فى نفسه .

فأخذ الخديو بيده وذهبا إلى الجناح الذى يقيم به مع صاحبته وظل ، بعد ذلك يخلو به ليل نهار ، ولا يخرج إلا قليلا فى المساء .

وفى أثناء ذلك أطلعنى الخديو على رسالة من كيو يحملها بولو ، وفيها أنه يرسله لسموه ليكون تحت تصرفه ، وأن يعهد إليه بمباشرة مصالحه في مصر[1] ـ وكلفت ان أرد على هذه الرسالة فكتبت رداً مختصرا بالشكر له على اهتمامه بشؤون الخديو ومصالحه دون الأشارة بشىء إلى بولو ومشروعه ، خشية أن يقع هذا الخطاب فى أيد أخرى ، ولكن لم يرق فى نظره هذا الاختصار وعدم التصريح بمهمة بولو فلاحظت له . أن هناك خطرا فى التصريح إذا ضبط الخطاب؛ ومع هذا فقد حررت الرد بطريقة لايستمسك فيها بشىء . فأخذ منى « المسودة » دون أن يكلفنى « تبييضها » فعلمت أنه لم يقتنع بالرد وكتبه هو وصاحبته بطريقة لا أعلمها .

تفكير الخديو فى ابعاد يوسف عن المشروع : وفى يوم ١٨ صرح لى بأن بولو يتضايق كسموه من يوسف صديق باشا ، وأنه كاد يهم بالتخلى عن العمل لولا الخديو ، وأن من رأيه ابعاده نهائيا . فلاحظت أن هذا العمل خطر وربما كان سبباً فى أن يفشى يوسف الأسرار ويحدث مالا تحمد عقباه ، وأن الأفضل اتخاذ طريق غير محسوسة لأبعاده . وقد كنت اتحدث مع الخديو بالعربية لحضور صاحبته معنا ، ولكن ظهر أنها فهمت لأنها قالت « شوية شوية » تعنى التمهل فى الأمر ، وهذا ما كنت أخشى منه أكثر من خشيتى يوسف .

وفى يوم ١٩ سافر بولو باشا وعدنا نحن جميعاً إلى فينا فوصلنا اليها صباح يوم ٢٠ .

وقد عاد يوسف يوم ٢١ من برلين وأخبرنا بما يأتى :

أولا : كان وزير الخارجية فى مقابلة سابقة معه قد طلب أن يشمل المشروع

---

(١) وقد انعم عليه الخديو برتبة الباشوية

تشكيل قلم مخابرة فى سويسرا لنشر أخبار ألمانيا، والدعاية لها، ومحاولة إدخال ذلك إلى فرنسا وانجلترا؛ ولكن بولو لم يوافق على هذا وقال: إن الأمر لو عرف لأعدم باعتباره جاسوساً، وبسبب اشتراكه فى المشروع؛ وقد وافق الوزير على هذه الملاحظة أخيراً.

ثانيا: وكان الوزير قد عرض فكرة شراء أسهم فى الفيجارو والطان فلم يوافق بولو أيضاً قائلا: إنه لا أهمية لهما ويخشى أن يتعرض لانتقاد ألمانيا من جراء ذلك فيما بعد؛ وقد ترك له الوزير الحرية فى العمل

ثالثا: يرى بولو ضرورة إنشاء جريدة سياستها «راديكال سوسيال (١) Radical Social» فى باريس يتولى كتابتها محررون ينتخبهم هو ويعطيهم مرتبات ويختارون من أعضاء مجلس النواب الفرنسى أو مجلس الشيوخ.

رابعا: إن خطة بولو ليست شراء الصحف، بل شراء أصحابها ليكتبوا فيها مقالات بقصد بذر الشقاق بين فرنسا وانجلترا، ثم التكلم بعد ذلك فى الصلح بغاية الاحتراس.

خامسا: طلب بولو أن يكون أول قسط مليونين ونصف مليون مارك، والثانى كذلك، وأما بقية الأقساط فتدفع مليوناً فى كل شهر فوافق الوزير.

مطامع يوسف باشا وصاحبة الخديو: وفى اليوم التالى تقابل معى يوسف باشا فتحادثنا في الموضوع، وجاء ذكر رجل اسمه «كافالينى» الطليانى الذى كان يرافق بولو وقد علم منه بالمشروع وله رأى يقضى بشراء بعض الصحف الأيطالية، وهو من معارف محمد يكن باشا فقلت: «لابد أن مسيو كافالينى سيأخذ من بولو نصيباً من المال فى مقابلة قيامه بالعمل فى إيطاليا» قال: «هذا مما لاشك فيه وطبعاً بولو، سيأخذ لنفسه مبلغاً، ولا أدرى لماذا نحن أيضاً لاننتفع؟ فأنى أنا الذى تحادثت مع وزير الخارجية، وأنهيت المسألة! فاذا أخذنا نحن أيضاً ثلاثة آلاف جنيه فهى قطرة من بحر، وأنا كنت عازماً على أن أحادثك فى هذا الموضوع لمفاتحة الخديو فيه». ووعدنى بأنه إن حصل على مايطلب فأنه يهدى إلى جزءاً منه فلم أجبه بشىء

(١) أحرار يشتغلون بالمسائل الاجتماعية وأخصها مسألة العمال

ولما كنت أعلم أن الخديوعازم على إعطائه مبلغ مائة الف فرنك — ولابد أن هذا كان بالاتفاق مع بولو — فأنى وجدت من تحصيل الحاصل محادثة الخديو .

وكانت صاحبته قبل هذا قد قالت لى : « إن يوسف باشا لابد أن يطلب مبلغاً كبيراً » وحرضتنى على طلب مبلغ فأجبتها : « بأننى لم أقدم على مثل هذا الأمر من قبل ولم أطلب من الخديو شيئا لى أو لأحد أقاربى . فقالت « أقصد من يوسف » فامتنعت أيضاً فقالت « إذن أنت أبله » فضحكت وقلت « فليكن ذلك وهو خير عندى من الطلب » .

وفى صباح ٢٣ مارس جاءنى يوسف باشا وقال لى : « سأطلعك على سر تعدنى بعدم إفشائه » فوعدته بذلك . فقال: « إن صاحبة الخديو أخذت تلعب ، وسيفشل المشروع لأنها تطلب هى أيضاً سمسرة مائة الف جنيه وإلا أفشت السر ؛ وما أظن أفندينا يرضى على نفسه أن يطلب من بولو مبلغاً لها لأنه عار عليه » قلت : « وأنا أيضاً أستبعد صدور طلب كهذا منه »

الدفعة الأولى وكيف انفقت : وقد أخبرنى كذلك يوسف باشا أن سفير ألمانيا طلب أن يقابله الخديو اليوم لتسلم الصك الأول بالدفعة الأولى ، ثم قال وسأطلب منه غداً صرف المبلغ لى » وقد سافر الخديو إلى زوريخ للقبض ، وفيها قابله بولو لأخذه منه

وحصل يوسف باشا على مائة ألف فرنك ، ذكر لى أنه سدد منها أربعين ألفا للخاصة وأهدى إلى منها عشرة آلاف ؛ وكان يجول بخاطرى أن الخديو هو الذى أوعز ليوسف بذلك ، لأننى منذ الحرب لم أتسلم منه مرتبى بينما كان يوسف يتسلمه آخر كل شهر

فشل المشروع : وقد علمت يوم ٩ مايو من يوسف صديق أن الدفعة الأولى استولى عليها بولو ، ولم ينفق منها إلا مائة ألف الفرنك التى سلمها له ، وأما الباقى فأعطى منه جزءا « لكافالينى » واشترى ضيعة له بنصف مليون فى باريس ، واحتفظ بما بقى بعد ذلك !

وأما الدفعة الثانية فأعطى منها مائة وخمسين الف فرنك لرجل فرنسى فى مقابلة كتابة بضع مقالات فى جرائد فرنسية من جرائد الارياف ، ومبلغ نصف مليون وضع أمانة فى مصرف لشراء أسهم من جديدة الفيجارو ، وذهبت الاطماع بالباقى

وكان لهذا العمل أثره السيء فى صلة الخديو بالألمان، وتشويه سمعته فى نظرهم، وتصديق ما كان يشيعه عنه الانجليز من المساوىء . وكان له أثره السيء كذلك فى صلة الخديو برجاله المصريين فى السويسرة، فقد كنا نرى أن الواجب رد بقية النقود إلى ألمانيا خوفا من تشويه سمعة الخديو لدى الألمان . ولكن سموه كان يتألم منا عندما نفاتحه فى هذا الموضوع حتى إنه فى مرة من المرات قال لنا فى حدة : « ياناس من قال عنى اننى لص حتى أبدد نقود ألمانيا ؟ »

وفى يوم ١٢ نوفمبر تقابلت مع الشمسى بك وعلمت منه أن الخديو أرسل تقريرا إلى برلين قال فيه بصدد هذه النقود : إنه موجود عنده مليون فرنك تقريبا ولكن توجد بعض مبالغ لم يسو حسابها بعد وهو منتظر تسويتها

وبلغنى منه كذلك نقلا عن الدكتور امستر الذى كان مدير مخازن الصحة بمصر واتصل فى مدة الحرب بالخديو أن الألمان لأول مرة قالوا للخديو : « قبل التفكير فى مقابلة الامبراطور يجب رد جميع المبالغ التى أخذتها من ألمانيا »!

وفى يوم ١٩ منه قابلت سموه فى فندق ناسيونال (وكان قد انتقل للسويسرة كما سيأتى فى فصل خاص) ثم حضر فريد بك قادما من برلين فقال : « إنه قابل وكيل الخارجية الألمانية ففاتحه فى أمر النقود، قائلا : « إنها هى الحائل بين الخديو وما يرجوه من مقابلة الامبراطور » وأن فريد كان يعتقد أن عباسا قد أعد الحساب وأرسله ولكن وكيل الخارجية نفى له ذلك . فقال الخديو : « لقد أرسلت مسيو امستر وسوى المسألة مع وزير الخارجية »!

سفرى الى برلين ومهمتى بها : سافرت يوم ١٨ فبراير من فينا الى برلين لقضاء عدة مهام منها ما يختص بمشروع بولو لفصل فرنسا عن انجلترا فى الحرب العظمى وقد ذكرته تحت العنوان الخاص به، ومنها أمور أخرى أذكرها هنا

المساعى لتسهيل زيارة الخديو للامبراطور : في يوم ١٨ فبراير قابلت موسيو الكساندر المالى المعروف؛ وكنت قد تعرفت به فى مصر حين أنشأ البنك الالمانى الشرقى قبل الحرب، وهو عضو فى عدة بنوك وله علاقة طيبة بالخديو، وأبلغته تحيات سموه فتقبلها بالشكر وقال لى « إن سموه اكتسب فى برلين سمعة طيبة؛ وأنا مستعد لقضاء ما يلزم سموه من الخدمات » ثم سألنى عما إذا كان فى نيته الحضور إلى برلين؟ فأجبته بأن ذلك ربما يحدث حينما يتقرر أمر مقابلته للامبراطور، لأنه لا يمكنه

أن يصاحب الحملة قبل أن يشكر جلالته عنايته بمصر والمساعدة الكبيرة التى تبذلها ألمانيا لخروج الانجليز منها

فسألنى عما إذا كنت قد حضرت برلين لهذا السبب فأجبته : لا . ولكن يوسف باشا صديق مكلف أن يقابل وزير الخارجية الالمانية في مهمة ؛ وأن يتكلم معه فى هذا الغرض . فطلب مقابلته قبل أن يذهب للوزير ، ليخبره بأهمية الاشخاص الذين يتحدث اليهم ، لأن « زيمرمان » وكيل الخارجية ذو نفوذ قد يفوق نفوذ الوزير

وقد كنت مكلفا من قبل الخديو أن ابلغ يوسف صديق باشا أن يتفاهم مع البارون أوبنهايم فى تسهيل هذه المقابلة قبل أن يسافر سموه لمصر ، لأن سبب تأخيرها أن سفير ألمانيا لم يجد ضرورة لها بسبب اضطراب أفكار الاتراك نحو سموه ، أما الآن وقد خلعه الانجليز فالافكار قد هدأت ، وتأكد رجال الدولة أنه معهم

وفى يوم ٢٣ فبراير كان يوسف ذاهبا لمقابلة وزير الخارجية فيما يختص بمشروع بولو السابق الذكر ، فاتفقت معه على أن يحادثه كذلك فى تسهيل زيارة الخديو للامبراطور ، ويقنعه بضرورة ذلك لأسباب منها

أولا : أنه لا يحسن أن يعرف المصريون أن خديويهم جاء إلى أوربا ولم يلتق بامبراطور ألمانيا مع أن سموه متحد مع جلالته ؛ والاتراك يؤولون عدم المقابلة تأويلا يضر بالحملة ؛ والانجليز كذلك يروجون اشاعات فى صالحهم

ثانيا : أنه لا يليق أن امبراطور ألمانيا لا يقابله مع أن حليفه امبراطور النمسا قد قابله

ثالثا : أن اهتمام جلالته بمسائل مصر يستوجب أن يشكره سموه على هذه العناية

ومن جهة أخرى أن الأسباب التى كانت تمنع هذه المقابلة قد زالت بزوال الوحشة التى كانت بين سموه وبين رجال الدولة

وقد تحادث يوسف باشا مع الوزير فى ذلك فاقتنع ، واتفق معه على أنه عندما يدعى سموه للعودة الى الآستانة لمصاحبة الحملة يطلب من سفير الدولة أن يخبر الصدارة بأنه سيرجع بعد مقابلة امبراطور ألمانيا . وعندئذ لا تستطيع الصدارة أن تمانع فى ذلك .

أما عن شخص الخديو فان الوزير قال ليوسف : « إنه وإن كان لم يتعهد تحريريا

لسموه برجوعه إلى عرشه ، إلا أنه يصرح بأن ألمانيا تعاضده حتى النهاية للوصول إلى هذا الغرض .

ثم زار وكيل الوزارة فردد له مايشبه كلام الوزير فيما يختص بالخديو

وبعد عودته الى فينا روى لنا أنه فى مقابلته الأخيرة مع محمود مختار باشا ، تحادثا فى زيارة الخديو للامبراطور ، فلم يجد منه ممانعة ، بل وافق عليها ، وطلب معرفة وقتها ، لاعداد مايلزم

سلف للبرنسات: وفي مقابلة أخرى مع الكساندر تكلمت معه فيما إذا كان ممكننا عقد سلفة للبرنس ابراهيم حلمى ، وللبرنسيسين فاطمة اسماعيل وحرم البرنس عمر طوسون ولدولة الوالدة فقال : إنه سيتكلم مع أعضاء مجلس ادارة بنك الدتش أوريان فى ذلك ، ويعطيني جواباً ، ولكن هذه السلفة لم تتم ، واستعيض عنها بسلف من الحكومة التركية كما سيأتى .

الخديو ومحمود مختار باشا سفير الدولة فى برلين :

كان من الأوامر التى تلقيتها من الخديو أن أبلغ يوسف صديق بألا يقابل عندحضوره من روما الى برلين محمود مختار باشا[1] سفير الدولة بها ، وذلك بسبب موقفه العدائى من سموه ؛ وإذا سأله أحد عن ذلك فيجيب : بأن المصريين يودون من صميم أفئدتهم مقابلة سفراء الدولة فى أى مكان متى علموا أنهم يحترمون الخديو ، وإلا فيطرحونهم جانباً

ولما قابلت موسيو الكساندر يوم ١٨ فبراير سألنى عما إذا كنت قد زرت سفير الدولة ، فأجبته بالنفى لأن وقتى لايساعدنى على ذلك. فسألنى عن علاقاته بالخديو فقلت : « على ماسمعت أنها ليست كما يرام ، من وقت إحالة نظر وقف اسماعيل باشا على سموه[2] فقال : « إننى آسف لوجود شقاق في هذا الأوان » ثم عرض على أن أقابله ، فقلت : « أنا رجل أفنديا ، وما دام الباشا يشعر بهذه الاحساسات نحو سموه ، فلا يمكننى أن أقابله ، وهو لايرحب برؤيتى ، فان أظهر هو الرغبة فى مقابلتى ليكلفنى ابلاغ تحياته واحتراماته للخديو فاننى لاأتأخر » فقال الكساندر : « فهمت ماتعنى ، فدعنى أعمل ما أراه بدون مسئولية عليك »

---

(١) صور ج ٢ . ق ٢ . ص ٦

(٢) كان مختار باشا متزوجا بالأميرة نعمت هانم بنت اسماعيل

وفي يوم ٢١ حضر يوسف فأخبرته بالأوامر ومن بينها عدم مقابلته للسفير ، فلم يوافق على هذا الأمر الأخير ، وبعد المناقشة اتفقنا على أن نسترشد بالبارون أوبنهايم ،وموسيو الكساندر فى ذلك .

وفى يوم ٢٢ منه قابلنا الكساندر وعرضنا عليه الفكرة ، فقال إنه يسعى فى إصلاح ذات البين ، وإنه سيقابل السفير ويدعوه للعشاء غداً .

ثم شرح له يوسف أسباب النفرة بينه وبين الخديو بطريقة طيبة ، وذكر أن العلاقات الشخصية بينه هو (يوسف) وبين السفير علاقات مودة واحترام .

وفى يوم ٢٣ منه قابلنا موسيو الكساندر فعلمنا منه أنه قابل السفير ، فقال له : إنه يرحب بيوسف باشا . ولكن الكساندر حذره من الاندفاع فى الكلام معه عن الخديو ، وأن يكتفى بالأحاديث الشخصية ؛ ففهمت أن إحساس مختار باشا نحو سموه لم يتغير

وقد توجه يوسف لمقابلة السفير فاستقبله بلطف ، ثم ذكر يوسف له أن هذه أول زيارة رسمية يقوم بها ، لأنه يقدره ويعجب بفضائله ، ويعتقد أن إحساسه نحوه كذلك ، فرد عليه مؤكداً له صدق شعوره

ثم دار الكلام عن الخديو ، فقال السفير: « إننى لا أنسى حسن معاملته لى شخصياً » فقال يوسف : « إذا سلمنا جدلا بأنه حدث من الخديو فى مدة حكمه الطويلة بعض مساس بالمصالح الخاصة ، فان الطريق السياسى الذى سلكه في هذه الظروف الحرجة يكفر عن ماضيه» فقال السفير: « نعم يعترف الجميع بذلك حتى أعداؤه ، ولهذا السبب لا أتأخر عن معاضدته » فاكتفى يوسف بذلك ووعد مختاراً بزيارة أخرى يتبادل معه فيها حديثاً طويلا

وفى يوم ٢٥ فبراير وصلت إلى فينا عائدا من برلين ، وعرضت على الخديو ما حصل فى مسألة محمود مختار فقال : « إنكم لم تفلحوا فيها ، وكان يجب أن يكون موقفكم موقف دفاع ، حتى تروا ما يعمله ، ولا يكون موقف تذلل كما حدث » فأجبته إن قصدنا هو منعه عن الخوض فى حق سموكم ، وقد وصلنا إلى هذا النتيجة

وفى يوم ٢٧ منه عاد يوسف باشا ، وأخبرنا أنه قابله مرتين بعد سفرى لقى فيهما منه حفاوة كبيرة ، وكلفه ابلاغ تحياته للخديو

أحاديث الحرب :

خطط هندبورج : في يوم ٢٢ فبراير قابلت موسيو الكساندر مع يوسف صديق ، فحدثنا عن خطط هندبورج الحربية ، وهي أنه في مدى شهر ونصف أو شهرين ، يكون قد أتم برنامجه ضد الروسيا ، وأجبرها على عقد الصلح ، لأن الجيش كله زاحف إلى الأمام ؛ وفي عزمه أن يقطع المدد الذي يحضر من بطرسبورج بالحركات التي قرر اتخاذها مع النمساويين ، وبها يتمكن من كسر الروس فيدخل فرسوفيا

أما الحرب مع فرنسا فتستمر في حالة دفاع من جهة الألمانيين ، حتى تنتهي الحرب مع الروس ؛ وبعدها يحول جزء من الجيش إلى فرنسا ويبدأ الهجوم

وهو يؤمل أن يصل إلى نتيجة حاسمة في زمن قليل ، فيعقد الصلح مع الفرنسيين وبعد ذلك تستمر الحرب بين ألمانيا وانجلترا حتى تسحقها

موقعة الدردنيل وسفر الوالدة إلى بروسة : عند ما حدثت موقعة الدردنيل ، استولى الفزع على سكان الاستانة فسافرت الوالدة منها إلى بروسه . فكلفني الخديو عند سفري للاستانة أن أقابل دولتها ، وأبلغها أسفه لأن المفسدين أشاروا عليها بالسفر ، فأصبح الأتراك يدعون أننا نحن المصريين بعملنا هذا ، ندخل الخوف على سكان الاستانة

وفي يوم ٣١ مارس علمت من جلال الدين باشا أن البرنس عباس حليم هو الذي اقترح على الوالدة السفر إلى بروسة ، وصور لها الحالة بصورة مزعجة ، فأجرت باخرة ونزلت بها ، ولما كانت الريح جنوبية شديدة فقد عادت إلى الاستانة بعد ساعة ، وأخذت القطار من محطة حيدر باشا إلى مدينة داخل الأناضول ، ومنها سافرت بالعربات إلى بروسة ، فوصلت في أكثر من يومين

وفي يوم ١١ ابريل زرت الوالدة مع جلال الدين باشا ، فأبلغتها احترامات الخديو ، وقلقه عليها لوجودها في بروسة مع انتشار الحمى بها ؛ وأنه يأسف لسفرها الذي يثير أقاويل الأتراك فقالت : « إن الزنابير في الاستانة كادت تجنني ، وقد كنت خائفة ، أما أنتم فكنتم بعيدين عن الخطر » ثم سافرت على أن تعود دولتها للاستانة قريبا

وفي يوم ١٦ منه زرت أنور باشا فسألته عما إذا كان هناك خوف على الدردنيل فنفى ذلك قطعياً . ثم قلت له : « إن مولاي لم يستحسن سفر الوالدة لبروسة ،

وكانت أوامره لجلال الدين باشا ألا تترك الاستانة إلا إذا سافر منها السلطان » فقال : « وهذه هى زوجتى « سلطان افندى » لم تبرح اسلامبول » فأخبرته أننى أقنعتها بالعودة قريبا

تنظيم مخابرات مع مصر وتدبير ثورة ضد الانجليز : فى يوم ٤ مارس أطلعنى الخديو على رسالة وبرقية من البارون مكس أوبنهايم بأنه سيصل الى فينا بعد غد فيقيم بها يوماً واحدا ، ثم يسافر الى الاستانة . وقال لى الخديو : «إن الأصوب أن تسافر معه ، وتحصل على ما لديه من المعلومات بصدد مهمته هناك وأن تحضه على السفر الى الشام لاستطلاع الأحوال بها »



البارون مكس اوبنهايم الملحق بسفارة المانيا بالاستانة فى مدة الحرب

وفى يوم ٢٦ منه حضر البارون وأخبرنى أنه سيقيم بالاستانة عشرة أيام وبعدها سيتوجه الى دمشق ، ويقيم فيها لنشر الدعاية الاسلامية ، وتوزيع منشورات فى مصر ، وأخذ أخبارها . وقد سأل عن اسماعيل بك لبيب ، فأخبرته أنه يقيم فى دمشق ، فقال : اننى أريد أن أجمع حولى الرجال المخلصين للجناب الخديوى ، فشكرته ثم أخبرنى بما عاناه فى اختيار رجال للحصول على أخبار مصر وصحفها ، فقلت له : « إن الخديو كان اختار رسمى افندى الضابط لأمر كهذا ، ولكنه حتى الآن لم يأت بفائدة »

وفى يوم ٢٧ منه سافرنا للإستانة ، ومعنا سكرتيره الألمانى موسيو كندلر وهو يعرف العربية لأنه مكث مع البارون عدة سنوات فى مصر ، وعلى العنانى افندى سكرتيره العربى ، وهو مصرى تخرج فى دار العلوم ، وأرسلته الجامعة المصرية الى برلين لاتمام دروسه .

الاتحاد الاسلامى : ولما خلوت بالبارون قال لى : « إن مهمتى تنحصر فى نقطة واحدة ، هى جمع كلمة البلاد الاسلامية حول الخليفة ، على أن تكون كل مملكة

مستقلة استقلالا داخليا ، ولكنها ترتبط بهذا المركز ، وأن هذا الوقت هو أنسب الأوقات للقيام بالحركة ، لأن الدول في وقت السلم تقاوم هذه الفكرة ، أما الآن فلا يمكنها عرقلة المساعى »

انشاء صحيفة عربية للدعاية : ولتنفيذ هذا المشروع فكر فى تشكيل هيئة برياسة شيخ الاسلام بالاستانة للدعاية وإنشاء صحيفة عربية لأذاعة هذه الفكرة فى الممالك الاسلامية كلها ، على أن تطبع هذه الصحيفة فى دمشق .

وسألنى عما إذا كنت موافقا على ان يشترى جريدة المقتبس ويوسع نطاقها ، فقلت : « إن اسمها لا يؤدى إلى الغرض الذى ترمى إليه ، والواجب إنشاء صحيفة باسم جديد مثل « الاتحاد الاسلامى » فوافقنى على ذلك

ألمانيا تنفق على تنظيم المخابرات والدعاية : وقال : « إننى أحمل الأموال التى تلزم لذلك »

ثم طلب منى أن أساعده فى تحرير بيان باسماء المصريين بالاستانة والشام وأوربا لانتخاب الأكفاء منهم فى التحرير أو الدعاية ، وأن أبين له ميولهم السياسية وثرواتهم .. الخ

وأخبرنى أنه يريد أن يجعل للصحيفة مخبرين في أهم المدن التركية والعربية ، وأن ينظم هيئات للدعاية فى الهند والعجم والأفغان ، فنبهته إلى ان هذا العمل ليس يسيراً

ثم كاشفنى بأنه ينوى إسناد رياسة تحرير الصحيفة إلى الشيخ جاويش ، ولكنى تمكنت من إقناعه بالعدول عن ذلك ، لأن الشيخ لم يعد مواليا للخديو بل يعمل ضده ، وهو فى الوقت نفسه — كما علمت — غير محبوب من المصريين ولا السوريين ولا الأتراك ، حتى أن جمال باشا أبعده عن مرافقة الحملة

ثم طلب منى أن أساعده كذلك فى انتخاب مندوبين فى روما ونابلى وأتينا لجمع المعلومات عن أحوال مصر ، وتشكيل قلمين للمخابرة أحدهما فى نابولى والثانى فى بيروت ، واستخدام بعضهم فى الاتصال بالمخلصين للخديو بمصر لاشعال الثورة وقت لزومها ؛ وأنه يعتقد أن بين أصحاب الطرق من يقدر على ذلك . ولهذا طلب منى ما يأتى :

استخدام ارباب الطرق :

١ — كتابة تقرير عن مشايخ الطرق فى مصر وأمثالهم فى الشام والاستانة والحجاز

٢ — البحث فى مصر عن اشخاص أمناء يمكن أن ترسل اليهم الخطابات والنشرات ونسخ الصحيفة المزمع انشاؤها

وفى ١٢ ابريل زرت البارون ، ومعى الدكتور سيد كامل فقدمته له ، وكان قد حرر كشفاً بأسماء المصريين فى الاستانة والشام وأوربا وملاحظاتنا عليه ، وتركته للاستمرار فى العمل مع البارون ؛ وبعد ذلك اتفقنا على عمل برنامج يأخذ كل منا صورة منه . وقد أعددناه فعلا فى هذا اليوم مقسما إلى عدة فصول ، تتلخص فيما يأتى

تحديد مهمة الجمعية السرية فى مصر : تتلخص مهمة الجمعية فى الحصول على أخبار صحيحة عن مصر ، والقيام بثورة عامة فيها تستمر حتى انتصار الحملة التركية ، وابلاغنا أولا بأول عن أخبار هذه الثورة ، وإمدادها بالوسائل التى لا تستطيعها فى مصر .

نظام المخابرات مع الجمعية السرية بالاسكندرية:

١ — تكون « المخابرات » بين الوطنيين فى مصر والخارج بواسطة أحد المصريين المقيمين بالاسكندرية ، حيث يكون للجمعية مركز سرى

٢ — يتصل مركز فينا بمركز الاسكندرية ، وعليه ارسال التعليمات اللازمة ، وكذلك يجب البحث عن مندوبين لارسالهم إلى طرابلس وأثينا ونابولى .

٣ — يؤلف مركز بسفارة المانيا فى الاستانة يتصل به مركز فينا ويبلغه المعلومات التى ارسلت للاسكندرية ؛ وعلى السفارة الألمانية تزويد السلطات التركية والألمانية بالمعلومات

استعمال شفرة وحبر كيماوى :

٤ — يكون لدى المراكز الثلاثة بالاسكندرية والاستانة وفينا شفرة « صفر » بحبر خاص للمخابرات ، والمركز الأخير هو الذى يعدها باللغة العربية ؛ والأفضل وضع الشفرة بين أسطر المصحف ؛ ولا يعرف الوسطاء فى نقل الرسائل شيئا عنها

المندوبون فى الاسكندرية ونابولى واثينا وطرابلس : وقد فكرنا فى أن يكون عبد اللطيف المكباتى بك فى مركز الاسكندرية ، لأنه مخلص وله أساليب مرنة يتخلص بها من المراقبة ، وعند رفضه يختار احمد حلمى افندى

واخترنا أن يكون على الشمسى بك معتمدا فى نابولى إذا قبل صديقه المكباتى أن يكون معتمداً فى الاسكندرية : وفى حالة قبول الشمسى يقيم فى نابولى ، ويقابل جميع المسافرين الآتين من مصر لمعرفة أفكارهم عن حالة البلاد .

فاذا رفض المكباتي والشمسي ، يختار اسماعيل لبيب بك فى نابولى ، وهو صديق لأحمد حلمى افندى

ووقع اختيارنا على ابراهيم صادق افندي ، وكان ضابط مدفعية فى البحرية العثمانية ليكون معتمداً فى أتينا ؛ وعلى محمد سلام افندى الضابط بالمحروسة على الحدود الطرابلسية ، ليتسلم ما يرسل من أتينا ، ويسلمه لمعتمد الاسكندرية ؛ وعلى احمد أبو على افندى الضابط بالجيش العثمانى ليكون مراسلا للجهات الصحراوية

وأن يترك سفر المراسلين إلى طرابلس لتقدير اسماعيل بك لبيب الذى يتصل بأنور باشا ليأخذ منه خطابات توصية لشيخ السنوسيين و نورى بك شقيق أنور باشا

توصيل الرسائل : اتفقنا على أن يقوم احمد نور الدين افندى « بالمخابرة » مع المكباتى لاستطلاع رأيه فى القبول أو الرفض ؛ وذلك بأن يكتب لزوجته فى مصر ثلاث رسائل يقول لها فى كل منها : أن تزور المكباتى بك ، وتنبهه إلى أنه سيأتى له خطاب من أحد أصدقائه ، وانه لكى يقرأه يجب استعمال طريقة معينة (الشفرة)

وهذه الرسائل ترسل من جهات مختلفة مع بعض البحارة المسافرين لمصر ، وعند وصولهم يلقونها فى صندوق البريد

وبعد أيام يكتب على الشمسى بك بين أسطر المصحف رسالة عادية بالحبر الكيماوى ، والشفرة التى ستستعمل لحل الرسائل ويرسله لأحد الطلبة فى مصر مع كتب أخرى ؛ ثم تذهب زوجة احمد نور الدين للطالب ، وتتسلم المصحف منه ، وتسلمه للمكباتى

وبعد ذلك يرسل الشمسى رسالة للمكباتى مباشرة بطلب رأيه ، فيحلها بواسطة الشفرة المرسلة فى المصحف

فاذا لم تنجح الشفرة فى المصحف ، تعاد فى رواية فرنسية تسلم لبحار ايطالى له المام باللغة الفرنسية ، فيوصلها إلى مصر

وكذلك فكرنا في طريقة أخرى لتوصيل الرسائل ، بأن توضع الرسالة بين نعلى حذاء ، أو طبقتى ثوب يلبسه رجل نأتمنه ليسافر إلى مصر عن طريق ايطاليا بأى سبب معقول ، ويسلمها للمكباتى . أو بواسطة سيدة ايطالية أو أمريكية تسافر لمصر بهذه المهمة ، وعلى مركز فينا أن يفاضل بين هذه الطرق الثلاث

أما تبادل الرسائل ، فالمرسل منها لمصر يستحسن استخدام مصرى لأخذه من نابولى ؛ فاذا لم يمكن يستخدم بحار طليانى . والمرسل من مصر للخارج يكتفى فيه بطريق البريد العادى . أما الرسائل المهمة فترسل مع رسول خاص

البريد عن طريق أثينا : كل التفصيلات السابقة تختص بارسال المخابرات عن طريق نابولى ؛ ويمكن فى المستقبل تنظيم المراسلات عن طريق أثينا إلى الاسكندرية وعلى مندوب أثينا أن يبحث فى الوسائل العملية لتنفيذ هذا المشروع باستخدام أهالى كريت من المسلمين لهذه الغاية ؛ ويسافرون بصفتهم أرواما مسيحيين

توصيل نقود ومفرقعات : إذا أمكن عمل هذه الأشياء فى طرابلس فعلى مندوبنا هناك أن يتسلمها ويوصلها إلى أقرب نقطة فى الحدود المصرية ، ويسلمها لمن يعينهم مندوب الاسكندرية

وإذا لم يمكن صنعها فى طرابلس ، فعلى مندوبنا فى أثينا أن يحصل عليها ويرسلها في المراكب الشراعية المستعملة لاستخراج الاسفنج ، ويعهد بها إلى أشخاص موثوق بهم من أهالى طرابلس أو من مسلمى كريت لا يصال هذه الأشياء إلى طرابلس . أما خطا أثينا ونابولى إلى الأسكندرية فلا يجوز استعمالها لخطورتهما ، أما إرسال النقود إلى مصر فمركز فينا يتدبره

طرق الدعاية الوطنية فى مصر : تقوم الدعاية على الأمور التى تنفر المصريين وتستثيرهم من عدوان الانجليز عليهم وعلى دولة الاسلام ، وعلى الاسهاب فى شرح سياستهم المخربة للبلاد ، وايقاظ الحمية الاسلامية فى النفوس ؛ ولكن من الخطر إرسال منشورات كهذه بواسطة جمعيتنا السرية فى مصر ، فلو كلفنا رجالها وانكشفوا يقبض عليهم جميعا ، ويعدموا بمقتضى الأوامر العسكرية ، فيحسن أن تلقيها الطيارات مرتين فى الشهر أو ثلاثا

وبعد الاتفاق على أسس المشروع المتقدمة طلب البارون وضع ميزانية له فوضعها الدكتور سيد كامل ، وأطلعني عليها ؛ وهى تبلغ نحو ٢٥٠٠ جنيه نصفها لمعاونة المندوبين في البلاد مدة اقامتهم وهي ثمانية شهور ، والنصف احتياطى للنفقات اللازمة

تحليف المندوبين : وبعد ذلك اجتمعت فى جلسة مع البارون والدكتور سيد كامل واسماعيل بك لبيب الذى حضر من الشام ، فطلب البارون تخفيضها فخفضناها إلى مبلغ ١٧٧٨ جنيها

ثم عقدنا جلسة أخرى حضرها نور الدين افندى وسالم افندى مندوبا طرابلس وابرهيم صادق افندى مندوب أثينا ؛ وتوليت تحليفهم اليمين بالصدق فى الخدمة والامانة في العمل مع كتمان السر . ووافق البارون على سفر نور الدين افندى فى الحال .

بينما موسيو كندلى سكرتيره لم يكن ميالا لاستخدامه ، بسبب ظهور حركة منه لم تعجبه ، وذلك أنه أطلعه على صورة زوجته بلا داع ، فاستدل من ذلك على خفته ، وعدم لياقته لمهمة عظيمة كهذه .

وبعد ذلك عدت إلى فينا وتركت الدكتور سيد كامل مع البارون لاتمام العمل .

تقرير الدكتور سيد كامل : وفى يوم ١٥ مايو أرسل الدكتور تقريره عن المشروع ، متضمنا الخطوات التى تلت ذلك ويتلخص فيما يأتى :

أن البارون حادث أنور باشا في المشروع فوافق عليه بالاجمال

وفى يوم ١٠ مايو اجتمع البارون والدكتور ، واسماعيل بك لبيب ، واقترح الأول إدخال تعديلات على المشروع تقضى بعدم استخدام البحارة فى توصيل المراسلات إلا فى أحوال نادرة ؛ وأن تعطى التعليمات لمندوبينا فى أثينا ونابولى ليكونا مترقبين حركة الذهاب والاياب من مصر إليها بالبواخر لأخذ معلومات عن حالتها ؛ وأن سفر مندوب طرابلس يجب أن يتأخر حتى وصول خطاب القبول من مندوب الاسكندرية

وفى هذه الجلسة تناول البارون الميزانية بالتعديل فرأى أن يحذف منها ألف جنيه مقررة « احتياطاً » لنفقات المندوبين ، وأربعمائة جنيه كان مقرراً إرسالها لمندوب الأسكندرية ، بسبب صعوبة الأرسال ، ووجود من يدفعها في مصر من المخلصين للخلافة ، وحذف مبالغ أخرى ، وصارت بعدها الميزانية إلى ٨٧٨ جنيهاً فقط

ثم حادث البارون سفير ألمانيا فى المشروع حتى ينال موافقته ، ولكن السفير قال : إنه غير محقق النتيجة ، فلا يستطيع تحمل مسئولية نفقاته أمام الحكومة الألمانية قبل عرضه عليها

وعندئذ عرض الدكتور سيد كامل على البارون أن يرفع المشروع إلى الخديو ليتصرف بما يراه ، فأجابه قائلا : « إننى مافكرت قط فى أن أتخلى عن الاشتراك مع سمو الخديو فى عمل نافع لمصر ، وإنما نحن الألمان نحب دائماً أن نشترك مع سموه فى العمل ، كما نشترك مع أنور باشا فى الشؤون العثمانية » وكلفه أن ينسخ صورة من المشروع ليرفعها هو للخديو عن طريق السفارة الألمانية .

وفى يوم ١٢ مايو تقابل البارون وسفير ألمانيا ، وفهم منه أنه يوافق إجمالا على

المشروع ، وأن تكون سفارة ألمانيا فى الأستانة مركزاً من المراكز ، إلا أنه يرى ضرورة تقسيمة إلى قسمين : السياسى ويبقى على ماهو عليه ، والحربى الخاص بالقنابل والمفرقعات فيترك لأنور باشا . وعلى ذلك نقصت الميزانية إلى ٣٢٨ جنيهاً

والسبب فى تقسيم المشروع هكذا أن أنور باشا غير مستريح لتدخل الألمان فى شئون الدولة العسكرية .

اسماعيل لبيب يفكر فى مشروع مستقل : ولما رأى اسماعيل بك لبيب هذه التقلبات التى لحقت بالمشروع ، عزم على الانفصال عن البارون ، وتنفيذ مشروع مستقل ؛ وذلك بأن انتقى ستة من الشبان المصريين فى كلية الطب والمدرسة الحربية الأعدادية بالأستانة ؛ وبث فيهم الروح الفدائية للقيام بأعمال وطنية في مصر ، واتفق مع أنور باشا على تعليم أربعة منهم صنع المواد المفرقعة ، وعلى أن يذهب الخامس للسويسرة الألمانية والثانى يذهب لمصر ، ويتلقى مراسلات من زميله ، وإذا أمكن دخول هذا الشاب إلى مصر أمكن التأكد من دخول الأربعة للقيام بأعمال تهديدية بالقاء القنابل والمفرقعات .

تقرير البارون : وفى يوم ٢٣ مايو وصل إلينا فى فينا تقرير من البارون أوبنهايم ، فاجتمعت اللجنة المؤلفة للنظر في كل مايهم الخديو لبحثه ، وبعد تلاوته تناقشنا فيما إذا كان الخديو هو الذى يتولى الأنفاق على المشروع الأصلى ، أم يترك الأنفاق حسب التعديل الأخير للبارون ، فاقترحت أن نتركه إليه ، ونقول له : « إذا كان العمل والأنفاق عليه سيضر بمشروع جريدته ضرراً مالياً ، فالخديو يقوم بدفع المبلغ كما هو فى الميزانية الأخيرة » إلا أن الخديو رأى أن نقبل المشروع المختزل ، وأن يكون تنفيذه بواسطة الألمان مع استخدام رجالنا ، حتى إذا فشل لا تقع التبعة علينا ، وأشار بسحب الدكتور سيد كامل من خدمة البارون ، فقلت : « إن الأحسن إبقاؤه ، لئلا يقال إننا نفضنا أيدينا من الألمان » فوافق محمد بك فريد على ذلك ، وقال : « إن وجود الدكتور يفيدنا لأنه رجلنا ويمنع أى ضرر عنا ويخبرنا بكل ما يصنع البارون »

فقال الخديو : « أنا حينما كنت أحضر مجلس النظار وأعارض فى مسألة ، وهم يخالفونى فيها كنت أقول لهم : « الأغلبية فى جانبكم فأنا لاحيلة لى إلا ضم صوتى اليكم ، وأنا الآن أقول لكم ذلك »

السلف والمرتبات التي تقررت للبرنسات والحاشية : عند حضوري للاستانة يوم ٣١ مارس علمت ، أنه بذلت مساع لدى الداخلية والحربية ، انتهت بتقرير ستمائة جنيه شهرياً للبرنسيس فاطمة اسماعيل ، واربعمائة للبرنس ابراهيم حلمى ، ونصف مرتب لموظفى القبوكتخدائية ولعارف باشا

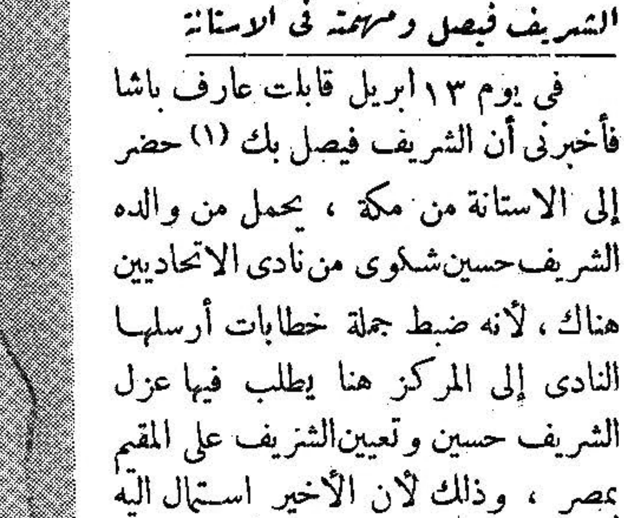
فسألت : ولماذا لم يعمم الصرف لجميع الموجودين بمعية الخديو ؟ فكان الجواب إن الصرف قد قرر لمن كان في الآستانة ، فقلت : « إن الأصوب أن يطرح هذا السؤال على المنوط بتسوية المسألة بالنسبة ليوسف باشا ، وكاوتسكى بك والشيخ محمد عثمان وأنا ، فاذا أمكن تعميم الصرف كان ذلك تخفيفاً عن الخديو ؛ وإذا لم يمكن يبلغ الأمر لسموه حتى لا يقول : « إن الذين في الاستانة فكروا فى أشخاصهم ونسوا الآخرين »

وفى يوم ١٣ أبريل زرت عارف باشا ، فأخبرنى أنه خاطب طلعت بك فى ترتيب مرتبات ابقية الحاشية ، فطلب أن يكتب جلال باشا للصدارة مذكرة بهذا الطلب ؛ ولكن عارف خشى أن يرفضها الصدر ، فرجا طلعت أن تكتب المذكرة له هو ، فقبل ، لأن مبدأ الصرف سبق تقريره من الصدارة ، فقدم له المذكرة ، ووعد باحالتها على الحربية

وفى يوم ١٦ منه قابلت أنور باشا وأبلغته ما قاله طلعت بك لعارف ، ورجوته فى الموافقة على الصرف حينما تحول المذكرة إليه ؛ ولما كنت على وشك العودة إلى فينا فأرجو أن يتيسر الصرف قبل سفرى . فطلب منى أن أحضر غدا ومعى بيان بالأسماء وبمقدار المرتبات وهو يأمر بصرفها ، وعند ارسال الأوراق من الداخلية تشفع باذن الصرف . وقد تم ذلك وتسلمت مرتبى قبل سفرى .

وقد أظهر أنور باشا استعداده لصرف ما يلزم للخديو شخصياً أو لنفقات سراى جبوقلى

وفى يوم ٢٣ مايو (وكنت قد سافرت الى فينا ثم عدت الى الاستانة) قابلت أنور باشا فى منزله ، وأبلغته تحيات الخديو ، وشكره على المساعدات المالية التى قررتها الدولة للمصريين ، أما فيما يختص بالصرف لسموه فانه سيراجعه إذا لزم ذلك . فقال : « لا يحتاج الجناب العالى للمراجعة بل عليه أن يأمر بما يريد » .



الشريف فيصل

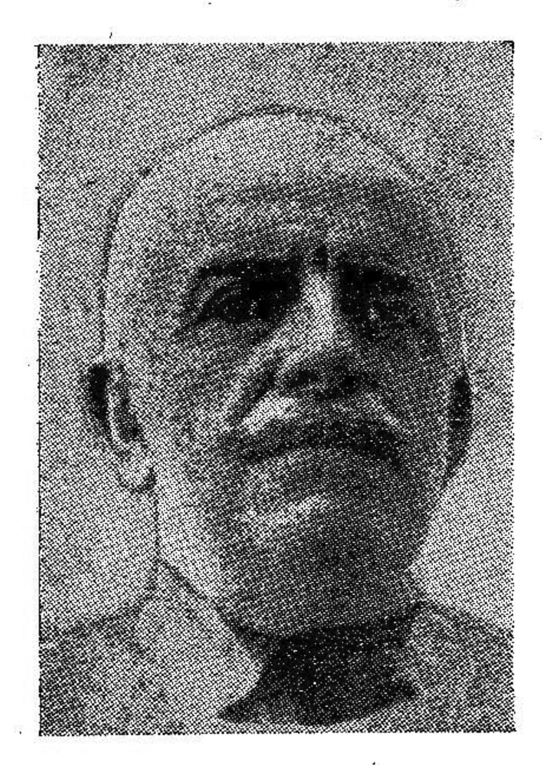
الشريف فيصل ومهمته فى الاستانة

فى يوم ١٣ ابريل قابلت عارف باشا فأخبرنى أن الشريف فيصل بك (١) حضر إلى الاستانة من مكة ، يحمل من والده الشريف حسين شكوى من نادى الاتحاديين هناك ، لأنه ضبط جملة خطابات أرسلها النادى إلى المركز هنا يطلب فيها عزل الشريف حسين وتعيين الشريف على المقيم بمصر ، وذلك لأن الأخير استمال اليه أعضاء هذا النادى ومن بين هذه الخطابات خطاب مملوء بالشتائم للصدر . والشريف يهدد بالاستقالة إذا لم يبعد هؤلاء المفسدون

وفى يوم ٢٣ منه زارنى الشريف فيصل ، فعلمت منه أن العلاقات كانت بين والده والوالى السابق وهيب باشا سيئة ،



الشريف حسين



الجنرال وهيب باشا

(١) المرحوم الملك فيصل

وكان في معاملته له شديدا ، وربما كان متبعا لأوامر الاتحاديين في ذلك ، وأنه كانت هناك دسائس ضد والده من الشريف علي بمصر والشريف حيدر بالاستانة

اتهام الشريف حسين بموالاة الخديو ثم الانجليز : وأن والده وفق للحصول على بعض مراسلات بين نادي الاتحاديين بمكة ومركزهم بالاستانة ، ورأى فيها أنهم كانوا يتهمونه من قبل بالتشيع للخديو ، والآن يتهمونه بموالاة الانجليز ؛ وأنه لما وصل إلى الشام أطلع جمال باشا على هذه الأوراق المضبوطة ، فطيب خاطره ؛ وحادثه في مساعدة العرب للدولة بالرجال عند تحرك الحملة على مصر ، وقد أظهر الشريف فيصل شعورا طيبا نحو الخديو .

عواطف العرب نحو الخديو : ثم قال : « ونحن العرب لو لم نعلم أن الدولة سترجع سموه إلى أريكته ما قبلنا مساعدتها ، ومما يؤسف له أن بعض المصريين يدسون الدسائس ضد خديويهم ، وقد رافقني الدكتور احمد فؤاد من الشام إلى الاستانة ، وعلمت منه أنه ضد سموه ، ولكنه إذا لم يعتدل فاننا لا نبقي له أثراً »

ثقة أنور وطلعت بالشريف حسين : ثم ذكر لي أنه لما حضر إلى الأستانة وأطلع أنور باشا وطلعت بك على الرسائل المضبوطة أظهرا له أسفهما وثقتهما بوالده . فقال لهما : إن كانت ثقة الحكومة العثمانية به لاتزال فعليها أن تقدم الترضية . وقد أكد لهما أن والده مستعد للتخلي عن الأمارة إن لم تكن الثقة به متوافرة ؛ أما إذا توافرت هذه الثقة فانه يرسل الرجال ، وعلى الدولة مساعدته بالذخيرة والسلاح والمال . . .

ولم يحدد لي مقدار من يستطيع والده تجريدهم للحرب ، ولكني فهمت أنهم نحو عشرة آلاف . وقال لي عن عرب الشام : « إنهم طيبون ، ومتى شاهدوا عرب الحجاز تشتد الحماسة في قلوبهم » .

العمل مع فيصل واوبنهايم للتوفيق بين الشريف والأتراك : وقد اشتغلت بعد ذلك مع البارون أوبنهايم والشريف فيصل مدة أسبوع في عمل اتفاق نهائي بين والده والحكومة العثمانية ، وكنا تارة نجتمع في فندق بيرا بلاس ، وتارة عند الشريف فيصل في منزله بأعالي بيوكدره وفي بعض الأحيان كنا نقضي السهرة عند البرنس ابراهيم حلمي ولا نرجع إلا بعد منتصف الليل ؛ وكان الشريف ناصر أخو الشريف حسين يحضر بعض الاجتماعات . وفي هذه الجلسات شرح لنا الشريف فيصل كل ما يختص بالحالة الحاضرة بين والده والأتراك وهي تتلخص فيما يأتي :

١ - إن الحجاز يعتمد فى مؤونته على المحصولات الخارجية التى ترد إليه بواسطة السفن الأنجليزية ، لأن البلاد العربية تنتج محصولا قليلا وهى فى حاجة إليه موضعياً ، فلا تكفى محصولاتها لتموين الحجاز ؛ علاوة على أن الخط الحديدى الحجازى ينتهى بمكة وهو خط فردى غير مزدوج ، فلا يستطيع القيام بسد حاجات التموين من الداخل ، فاذا انقطعت الواردات من الخارج ، حصلت مجاعة تجر إلى ثورة العرب ، وهذا هو الذى يضطر الشريف إلى التعامل مع السفن الأنجليزية .

الشريف ناصر

٢ - كانت العلاقات بين الوالى التركى وهيب باشا والشريف حسين يتخللها الجفاء وسوء الظن ؛ فكانت الحملات التى يجهزها الشريف فى بلاد العرب والعسير ليخمد بها حركات ضد السلطنة العثمانية ، تقابل بالريبة والحذر .

٣ - فيصل يلفت النظر للدسائس التى يقوم بها الأمير جعفر الأخ الأصغر للأمير على حيدر المشترك في نادى الاتحاد والترقى بالحجاز ؛ والذى يطمع فى عودة الامارة إلى أسرته .

٤ - بين الشريف فيصل دقة موقف والده فى أثناء الحج بين الأجناس المختلفة والمذاهب المتعددة . يقابل ذلك أن الشريف ومن حوله يتمتعون بدخل عظيم من الحجاج ، وإذا وقع الحجاز تحت الحكم الانجليزى ، فان نفوذه يهبط كثيرا . فهو من هذه الوجهة مرتبط بالخلافة لارتباط جميع المسلمين بها ضد العدو المشترك ، فيجب أن يثق به الاتراك ويبعدوا عن أذهانهم فكرة عزله ، وبذلك لا يدفعون به إلى اليأس حتى يستطيع أن يتظاهر أمام الانجليز بحياده التام فيضمن تموين الحجاز ويمنع عنه المجاعة والثورة . وبهذا يحفظ كيان الوحدة العربية

وقد انتهت هذه المداولات بيننا وبينه ، ثم بينى وبين أنور باشا وطلعت باشا

بالإتفاق على ترضية شريف مكة وتأمينه على مركزه . وسلم السلطان لفيصل سيفاً هدية لوالده ، وكتاباً من طلعت باشا يؤكد فيه ثقته به .

وبعد ذلك سافرت من الاستانة إلى جنيف لأمور عائلية ثم إلى فينا . وقد وصل إلى تقرير من الدكتور كامل جاء فيه عن هذا الموضوع ما ملخصه :

أنه بعد سفرى اجتمع الشريف فيصل بالبارون فى بيرا بالاس ، وحضر الدكتور الاجتماع ودار الكلام في تنظيم دعاية يقوم بها الشريف حسين فى البلاد الاسلامية لاثارة شعورها وحميتها نحو الدولة ، فأبدى الشريف فيصل أن هذا المشروع يشمل ارسال المندوبين إلى البلاد الاسلامية ، التى ليست فى حوزة الدولة وهذا العمل سهل . ولكن إذا أريد أن يتناول اشعال ثورات فى السودان المصرى والهند الشمالية والصومال الانجليزى فان وجه المسألة يتغير ، وتجب ملاحظة ما يلزم من النفقات لذلك العمل الكبير . ثم أظهر أن والده قادر على اشعال ثورات فى هذه الجهات . ولكنه هو لا يستطيع الآن أن يبين الطريق التى يسلكها لهذه الغاية ، كما أنه يقول هذا الكلام بصفة شخصية ، ولا بد من تصريح والده بالقبول

ثم عاد فعدل عن كلامه مكتفياً بارسال مندوبين للدعاية وإذاعة الأخبار

ولكن البارون تشبث بما عرضه فيصل ، وألح عليه فى بيان ما يلزم من النفقات . فأجابه بأن المبلغ يتراوح بين ثلاثين وأربعين ألف جنيه .

ثم قال الشريف : « إن أنور باشا دفع اليه خمسة آلاف جنيه لتجهيز قوة منظمة تلحق بالحملة الزاحفة على مصر ؛ وهو يخشى أن يمزج أنور بين هذا العمل الحربى ، والمشروع الذى يعرضه الآن ، والواجب التفرقة بينهما »

وبعد ذلك ذهب البارون لسفير ألمانيا البارون ونجهايم ، وأطلعه على ما عرضه فيصل ، فأظهر ارتياحه لذلك ، وكلفه بمقابلة أنور باشا ، لأخذ رأيه ، وصرح له بأن الدولة إذا لم تدفع المطلوب فان ألمانيا مستعدة لدفعه

وفى يوم ٨ مايو تقابل الدكتور مع الشريف على انفراد فسأله باعتباره أحد رجال الخديو المخلصين ، عن رأيه فى الخطة التى يتبعها مع رجال الدولة هو ووالده . فنصح له بألا يحدد مبلغاً معيناً خشية عدم كفايته ، وأن يترك ذلك لوالده ؛ وأنه يحسن عدم التعهد باحداث الثورات فى هذه البلاد من الآن ، حتى إذا لم يفلح المسعى اكتفى بالدعاية السلمية ؛ فوافق على نصائحه ؛ ثم طلب منه أن يبلغ البارون أنه يطلب لوالده

سلطة تامة فى كل ما يتعلق بالشؤون الحكومية فى الحجاز تسهيلا لهذا العمل ؛ وأنه فى حالة عدم النجاح والتشكك فى والده ، فهو يفضل الاكتفاء بالدعاية .

وقد أبلغ البارون هذين الطلبين ، فرفض الحديث فى الطلب الأول لأنه يعد تدخلا من الألمان فى شؤون الدولة ، ووعد بالكلام مع أنور باشا فى الطلب الثانى .

وقد تحادث البارون مع أنور ، فوافق على المشروع مبدئياً دون الدخول فى التفاصيل .

المشروع النهائى وانتهاء مهمة فيصل : وفى يوم ٩ مايو قابل الشريف أنور باشا فسلمه رسالة الترضية ، وفى طيها ورقة بالتركية تشمل نقط المشروع المراد تنفيذه وهى مختصرة تتلخص فيما يلى :

١ ـ تسيير أحد أنجال الشريف مع قوة منظمة للالتحاق بالحملة على مصر
٢ ـ إذاعة إعلان الجهاد فى البلاد الأسلامية الأجنبية
٣ ـ إرسال مندوبين لهذه البلاد وتوزيع الرسائل والمنشورات
٤ ـ السعى للفتك بمن يراد قتلهم من الأعداء
٥ ـ توصيل الأخبار التى تنمى الى الشريف من الخارج إلى تركيا
٦ ـ الاتفاق مع الوالى على النفقات اللازمة لهذه الأعمال

وفى يوم ١٠ مايو سافر الشريف من الاستانة

تقرير أوبنهايم : وقد كتب البارون أوبنهايم تقريراً عن هذه المسألة سرد فيه كثيراً من الحقائق التى تقدم ذكرها ومما جاء فيه :

« لقد كادت مهمة فيصل تنتهى بالفشل ، فرأيت من الواجب تلافى الحالة محافظة على التفاف البلاد العربية حول الخلافة ، وكان من الظروف الطيبة وجود أحمد شفيق باشا معى فى هذا الوقت بالاستانة ؛ وقد كنت أعرفه من أيام وجودى بمصر ملحقاً عسكريا للقنصلية الألمانية ؛ وهو يعرف فيصلا من أيام حج عباس

« وشفيق باشا هو الذى دبر اجتماعاتنا فى بيرا بالاس بعد ما أخذ فيصل إذنا من طلعت فى أن يتفاهم معى

« وقد وجدت أقواله التى أدلى بها مطابقة لمعلوماتى الخاصة التى جمعتها من تحرياتى

« وفى مبدأ الأمر كنت متشككا فى فيصل ثم وثقت به ، وتمكنت من إنهاء المسألة بمساعدة شفيق باشا الذى كان فى مركز يسمح له بأقناع الحكومة التركية بحسن نية فيصل ، وفسح المجال له ليتصرف »

« ومن الغريب أن التقارير التى قدمها سير مكماهون وسير ونجت ، عن الميدان الشرقى ، دلت على أنهما كانا يبذلان جهداً عنيفاً لفصل الشريف حسين من الاتراك ولكن لم يحصل شيء من ذلك فى خريف سنة ١٩١٥ لأن فيصلا عاد من الأستانة مطمئناً .

« وكانت النتيجة أن حاصر الانجليز شواطىء الحجاز . ولو انضم الشريف اليهم في هذا الوقت الذى كان الاسطول يهدد الدردنيل لكانت ضربة قاضية على الاتراك ولكن فيصلا ظهر فى الخريف بفريق من البدو إلى جانب الجيش الرابع الذى يقوده جمال باشا ؛ ولو أنه لم يكن لهذا العدد القليل أهمية عسكرية ، ولكن كانت له دلالة معنوية كبيرة

« واختار فيصل بناء على طلب جمال باشا أن يقيم فى دمشق كأنه كان رهينة فى يده»

خشونة جمال باشا تسبب انضمام العرب للانجليز : وفى أثناء حديث بينهما طلب فيصل أن يراعى جمال باشا عواطف العرب فى الشام لأن اعدام بعض الوطنيين والمعاملة الشديدة التى عوملوا بها أثارت استياءهم فأجابه بحدة : « بأن ما عمله كان ضروريا ولو أن والده الشريف حسين حدث منه ما حدث من الوطنيين فى الشام للاقى جزاءه مثلهم »

فاستاء فيصل لهذا الجواب الخشن وأضمره فى نفسه ، وقرر أن يغادر الشام إلى الحجاز خفية .

وقد فعل وانتهت المسألة بانضمام شريف مكة للانجليز

الانجليز يعرضون ولاية العهد على عبد المنعم : علمت فى يوم ٧ مايو من (ى . بك) أن الانجليز أوفدوا الى البرنس عبد المنعم ، شقيق قنصل الانجليز في جنيف ، فعرض عليه قبول ولاية عهد السلطنة المصرية فأجابه الأمير بالفرنسية :

“Pour qui vous me prenez, je ne suis pas un fils qui trahit son père „

وترجمتها « من تحسبنى ؟ لست الولد الذى يخون والده ، وبذلك انتهت المسألة

الخلاف بين الخديو ورجاله والوطنيين وسفره الى السويسرة : فى يوم ١٢ يونيو اجتمعت مع يوسف باشا ومحمد فريد والشمسى والدكتور سيد كامل ولبيب بك ، وقد

عاد إلى فينا بأمر عباس ، فلاحظ يوسف باشا أننا نسير بلا نظام في عملنا ، وأنه وضع أسئلة للبحث فيها وتقرير خطة معينة للعمل بعد الجواب عليها

بحث موقف الخـــديو من جميع الوجوه : وفى يوم ١٣ اجتمعنا للبحث فى الأسباب التى حملت المصريين الوطنيين عند إعلان الحرب الحاضرة على انضمامهم لتركيا وحلفائها ، وقررنا أن السبب ، هو الأمل فى تخليص مصر من الاحتلال الأنجليزى ، والقيام بالواجب نحو الدولة العلية .

وكان السؤال الثانى : هل كان المصريون الوطنيون يؤملون إعادة استقلال مصر الداخلى حسب الفرمانات وكان الجواب بالأيجاب

وبحثنا فى السؤال الثالث : وهو ما الضمانات التى أخذت للوصول إلى تحرير مصر من الانجليز مع حفظ امتيازاتها ، والجواب هو ما أعلن فى الارادة الشاهانية ويحسن الاستزادة من هذه الضمانات

وفى يوم ١٤ منه بحثنا فى الأسباب التى أدت إلى خروج الخديو من الاستانة فاستعرضنا هذه الوقائع واحدة فواحدة ، وبعد عدة جلسات كانت الآراء النهائية : أن ما حدث يدل على تحول فى السياسة التركية نحو مصر والخديو . ورأى ثان ـ وهو رأيى ـ أن هذا لا يدل على تحول بل ما حصل كان مجاملة للصدر الذى يحقد شخصياً على الخديو . ورأى ثالث باحتمال الرأيين السابقين . وعلى العموم فقد قررنا أن يتقرب الخديو من رجال تركيا وأن يعود إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان حسب دعوة السلطان ويقيم عدة مآدب يدعو إليها رجال تركيا

وفى يوم ١٦ اجتمعنا فى جلستين واقترح يوسف باشا أن يتبع الخديو خطة تهديدية للحصول على ضمانات لمصر ولشخصه ، وذلك بأن يهدد بتنازله عن عرشه واعلان ذلك لرجال تركيا وألمانيا والنمسا ، وهم يخشون تصريحاً كهذا يعرقل عمل الحملة ، ولكننا لم نوافق عليه ، واعتبرناه سلاحا ضدنا للصدر يقنع به الألمان بعداء الخديو ، فسحبه الباشا ولم يقيد فى المحضر .

وبعد ذلك عملنا تقريرا وافيا بواسطة الدكتور سيد كامل ، وعرضناه على الخديو يوم ١٨ منه فوافق عليه ، ماعدا نقطة التقرب من الاتراك فانه تلقاها واجما ؛ وعندما سمع قرارنا بعودته إلى الاستانة فى رمضان ، جاهر باستيائه من هذا القرار

ألم الخديو من بعض القرارات : وفى اليوم التالى بينما كنت داخلا عند الخديو ـ

وقد عرفت أنه متوعك ـ سمعته يقول بعد التأوه « لما كنت فى مصر كان الناس يقولون : إننى سبب الاصطدام مع الانجليز وسبب الارتباكات التى تقع ، والآن هاهم أولاء يقولون : انى سبب الشقاق مع الاترك فأنا فى حيرة » . وقد هممت أن أصارح الخديو في هذه النقطة برأيي لولا أننى وجدته متوعكا ، فأشفقت عليه ، وصمت

خلاف الخديو مع رجاله : وفى يوم ٢٦ تقابلت مع « مدام روشبرن » صديقة فريد ، فأخبرتنى بأن الخديو صارحها باستيائه من قرارنا الذى يشير برجوعه إلى الاستانة لمناسبة شهر رمضان ، وقال : « إنه لن يعمل بهذا القرار ، وكذلك سمعت من عبد الله البشرى افندى وكان قد وصل إلى فينا يوم ٢٩ منه أن الخديو متألم من قراراتنا ويقول عنا « هم يريدون انتحارى » !



عبد الله البشرى افندى

سفر الخديو إلى سويسرة : فى يونيو وردت لى برقية من عائلتى بجنيف لأسافر اليها ، فقلت ليوسف باشا : « إننى سأطلب أجازة بضعة أيام فقال : « ولكنى أنا أيضاً طلبت أجازة ، ورخص لى فيها » فأجبته بأنه يجب ألا نترك الخديو وحده . وكانت صاحبته واقفة فقالت : « الخديو لايريد أن يرى أحدا منكم » فامتعضت لهذا الكلام وأجبتها بأنها غير صادقة فيما تقول ، وطلبت منها أن تتركنا نؤدى واجبنا نحو أميرنا ، ثم أدرت لها ظهرى وخرجت غاضبا . وقد سافرت بأجازة بضعة أيام ؛ ولكن جاءتنى برقية من جلال الدين باشا بأن أبقى لحين صدور أوامر أخرى ؛ فعلمت حينئذ أن الخديو لايرغب فى وجودى كما صرحت صاحبته

رأى رجال الخديو فى موقفه : وقد اجتمعت هناك بالأستاذ فهمى وأطلعته على قراراتنا فوافق عليها .

وفى يوم ١٢ يوليو قابلنى على بك الشمسى ، وأخبرنى أنه كان فى « لوسرن » منذ

أربعة أيام ، وأن الجناب الخديوى حضر إليها ، وعلم منه مايأتى :

أن سفير تركيا فى فينا تـكلم مع سموه فى السفر الى الاستانة لتمضية شهر رمضان وقال له . إنه بلغه من فريد بك أن جميع المصريين على هذا الرأى ، وأنه سيخاطب وزير خارجية المانيا في ذلك ، فظن سموه أن الرأى سيتفق على ارساله إلى الأستانة رغب أم لم يرغب ، وخاف من ذلك . فقال للسفير : إنه الآن يغير الهواء وسيمر على كارلسباد ، ومر عليها فعلا بالسيارة وحجز له غرفا فيها ثم رجع إلى فينا دون أن يدخل الفندق ، وتنقل من مكان إلى آخر فيها ، حتى جاء ميعاد القطار المسافر من فينا إلى « انسبروك » فركبه هو وصاحبته وخادمتها ، ويوسف صديق وعبدالله البشرى ، وجاءوا إلى لوسرن بجواز ألبانى حرره له ثريا بك معتمد ألبانيا فى فينا بصفة سموه ألبانيا (يعنى أنهم هربوا)

وقد علمت أن هذا هو سبب غضب الخديو على وإرسال البرقية لى بالبقاء فى جنيف

وأخبرنى الشمسى أيضا أن سموه يقول: « سيقول رجال الحزب الوطنى ومن معهم (يعنى شفيق) إننى خائن ؛ وهم لايعلمون شيئـا من دخائل السياسة التى أعرفها ، وأعرف ماترمى إليه أعمال الأتراك »

وفي يوم ١٣ منه اجتمعت معه وتفاهمنا فيما يجب علينا نحن المصريين بازاء خروج الخديو بهذه الصفة ، ووجود اشاعة بأن سموه ينوى الاتفاق مع الانجليز على أن يتنازل عن الخديوية نظير اعطائه مخصصات سنوية قدرها ٢٠ أو ٢٥ ألف جنيه ، وتولية ابنه بعد السلطان حسين . وقد قلت للشمسى بك : وانني لن اتقهقر أمام سموه عند مقابلتى له ، وسأسأله عن حقيقة نيته ، وإذا كان يريد التنازل فاننا نتخذ الخطة مع الأتراك والألمان لتولية البرنس عبدالمنعم ، وهم يفضلون ذلك على رجوع الخديو الى الاستانة ، ثم استقر رأينا على طلب فريد للتفاهم معه في الأمر

وفى يوم ١٥ منه اجتمعنا به وكان رأينا جميعا أن عمل الخديو يؤخرنا خطوات ، بعد أن كنا تقدمنا خطوة بالرسالة التى بعث بها إلى الصدر كما أسلفنا

ثم حضر عندنا يوسف صديق ، فأخبرنا أن الخديو فى الأيام الأخيرة كان يخفى عنه أسراره ، ويتحادث فقط مع محمد باشا يكن ، وأنه برىء من الاشتراك فى تدبير أمر الخروج من النمسا ، وصرح لنا بعزمه على ترك خدمته .

وفى يوم ٢٨ يوليو زارنى عبدالله البشرى ، وعلمت منه أنه حضر لمقابلة يوسف صديق وابلاغه رسالة قال عنها : « إنها ثقيلة » فقلت : « إن الأحسن إذا شاء الخديو أن يتخلص من أحد رجاله أن يكون ذلك بالحسنى ، بدلا من الانفصال بضجة » فقال عبد الله افندى : « الظاهر أن افندينا رامى طوبتها » وقال لى : « هلا تذهب لمقابلة الخديو ؟ » ففهمت أن عباسا هو الموعز بذلك ، فقلت : « إننى لا أذهب ما دام عندى أمر من جلال الدين بألا أحضر إلا بطلب »

تهديد تركيا للخديو بسحب الأوسمة وشكوى عباس للسلطان : وفى يوم ٢٠ أغسطس علمت أن ضيا بك قنصل جنرال الدولة فى جنيف قابل الخديو — ولم أعلم فى هذا اليوم ما دار بينهما — ولكن فى يوم ١٣ سبتمبر لقيت الأستاذ فهمى فأخبرنى أنه قابل الخديو فأظهر له تألمه من رجاله وأنهم خانوه ، فأبلغوا اسراراً قررت بينهم وبينه إلى سفير الدولة بفينا ، وهى الخاصة برجوعه إلى الاستانة فى شهر رمضان . ثم قال له « والآن يحضر قنصل جنرال الدولة فى جنيف ، ويهددنى بأننى إذا لم ارجع فان الدولة تسترد منى الرتب والنياشين . وفى أى شىء تنفعنى هذه الرتب ؟ وهل كان يصح أن يذهب شفيق وفريد ويخبرا سفير الدولة فى فينا بسر من أسرارنا ؟ »

ثم خاطب الأستاذ فهمى قائلا : « والظاهر أنك وافقتهم على فكرهم ولا أعلم ماذا قالوا لك حتى اقتنعت » فرد : بأنه موافق نعم على فكرة الرجوع إلى الاستانة فى رمضان ؛ فقال الخديو « وما هى الجريمة التى ارتكبتها فى مجيئى إلى سويسرا ؟ وهل يخطر على بال أحد أنه بمجرد خروجى من النمسا اعتبر قد عزمت على الاتفاق مع الانجليز كما يشيعون » ؟ !

وبعد خروج قنصل الدولة حرر الخديو الشكوى الآتية :

شكوى عباس من قنصل تركيا فى جنيف : مولاى ياصاحب الجلالة . أتشرف بأن أعرض على مسامع جلالتكم أن أسبابا شخصية أوجبت على منذ زمن وجيز أن أذهب إلى السويسرة

وبناء على الأوامر التى صدرت من الباب العالى إلى قنصل جنرال الدولة العلية والتى استغربت لها ، عرفنى بأن وجودى فى السويسرة غير مرغوب فيه ؛ وفى بلاغ آخر أمرنى بالرجوع إلى الاستانة فى الحال ، وطلب منى الاجابة اما بالقبول أو الرفض

بدون شرط ولا قيد . وفى ١٨ أغسطس أخطرت الباب العالى رداً على ذلك بأنه لم يدر بخلدى الامتناع عن الرجوع إلى الاستانة، وما كان حضورى إلى السويسرة إلا لأسباب اضطرارية وانى اكرر الاعراب عن اخلاصى لجلالتكم ، وولائى منذ تبوأت عرش مصر سنة ١٨٩٢ للدولة العلية صاحبة السيادة، وأن الحوادث الأخيرة لتدلكم على محبتى لجلالتكم واخلاصى لدولتكم، مما يفرضه على شعورى الدينى، ويوحيه إلى ضميرى

وقد مضت أربعة أيام بعد ارسال الرد المشار اليه ، وإذا بالقنصل يرى من واجبه أن يخطرنى بالرجوع بواسطة محكمة احدى المقاطعات السويسرية فحضر عندى موظف من قبل البوليس المدنى فى يوم ٢٤ أغسطس ، لكى يسلمنى شخصيا هذا الاخطار ، ومعه وصل طلب منى التوقيع عليه بما يفيد الاستلام، فلم يسعنى إلا أن أرفض رفضا صريحا، لاجئا إلى بابكم العالى محتجا على أعمال هذا القنصل وانى لأسائل نفسى — وما كنت انتظر هذه المعاملة من بعض رجال الحكومة السنية — أى شىء اقترفته حتى استوجب هذه الشدة وهذه الغلظة ؟ إلا أن هناك أراجيف وأكاذيب اشيعت فى الاستانة فوجدت آذانا صاغية وقلوبا واعية ، وهذه الأراجيف وهذه الأكاذيب من بعض ذوى النيات الخبيثة ، والنفوس الدنيئة ، يريدون بها ارضاء حزب يدعى خيانتى للدولة، وأنى منفصل عن الغاية المنشودة ، وانى كنت متصلا ببعض الدول المعادية لها، وما أكذب هذا الافتراء وهذه الأقاويل ؟ لقد حضرت إلى السويسرة أكثر من مرة ، دون أن يستوجب حضورى سوء ظن الباب العالى

ولو صح هذا الادعاء لكان الأولى به وقت وصول الجيوش الروسية إلى حدود أراضي المجر، والحملة على الدردنيل فى بادىء أمرها . مع أننى اليوم أرى أن الجنود الشاهانية تذود ببسالة عن حمى الدولة ، بينما جيوش الممالك المتفقة معها تنتصر فى الشرق انتصارات عظيمة متوالية؛ وأن الوقت لم يحن لانفصالى عن الغاية المقدسة المشتركة التى هى محور الرجاء وقبلة النظر ، وانى منذ صارت انجلترا وروسيا يداً واحدة لم أر نجاة للدولة العلية إلا فى تقربها من ألمانيا ؛ وتلك هى نظريتي التى لا يزال الزمن يؤكدها لى . وأختم شكواى لجلالتكم بأننى آمل غير الذى حصل وأرجو زوال الوساوس القائمة من شهور عدة بينى وبين الدولة العلية ، رغما عن

بذل مجهودى فى استئصالها ، والسبب فى كل هذا هو سوء ظن الحكومة العثمانية بما لا استحقه ، حتى استبعدت كل الاستبعاد منذ اكثر من عشرة شهور من مهمتى الحقيقية ، التى كان فى امكانى أن أقوم بها لبلوغ الغاية العامة لبلادى وللدولة صاحبة السيادة ، وفى هـذا الوقت العصيب أبدى لجلالتكم أننى أود أن أظل دائما مخلصا لجلالتكم صبوراً على تحمل الصعاب . وانى فى انتظار النتيجة النهائية التى أرجو أن تحصل ، فى عظمة ورفاهية دولة جلالتكم

بينى وبين الخديو : وفي يوم ٢٤ منه وردت لى رسالة من عبد الله البشرى يقول فيها : « ان الخديو أمره أن يكتب فى طلبى مع السرعة فى الحضور » فسافرت إلى لوسرن . وفى صباح ٢٥ منه لقيت الدكتور سيد كامل ، ثم عبد الله البشرى ، وتوجهنا لمقابلة الخديو ، وكان في الرياضة ، ولما دخل سأل : « كيف أنت ياشفيق ؟ » فأجبته : « بخير » وهممت بتقبيل يده فسحبها منى دلالة على أن فى نفسه شيئاً ، ثم جمعنى مع كل المصريين الذين كانوا فى لوسرن ، وكان يقصد أن يعاتبنى بمسمع منهم حتى لا أستطيع الرد عليه بصراحة ، وهم : محمد باشا يكن ، والشيخ محمد عثمان ، وعبد الله البشرى ، والدكتور سيد كامل ، وغيرهم . ثم سألنى عن مقابلتى لسفير الدولة ، فنفيت ما نمى اليه من أننى أبلغت السفير شيئاً ، ودللت على كذب هذا الخبر بأن فريداً لم يكن معى مطلقاً كما يقولون . وكذلك بعد سفرى الى الاستانة لم أتحدث إلا مع التحفظ ، فلما سئلت عما إذا كنتم سموكم ستزورون الاستانة فى رمضان أجبت : بأنى لا أعلم — وقد يقع ذلك إن شاء الله — وتلك هى رغبتنا جميعاً (وكررت هذه الجملة)

ثم خاطبت سموه بحدة قائلا : « يا أفندينا كل الذين يعملون معك لا يعرفون نياتك وخططك السياسية ، وكل منهم يخمن تخميناً فيما يريد ؛ وأنا أيضا لم أفهم سياستك ولا أعرف الوجهة التى تقودنا اليها ؛ وأنا بصراحتى المعهودة لا أستطيع أن اكتم عنكم ما أعتقده صواباً ، ولست كهؤلاء الذين حولك فهم لا يجسرون على مصارحتك بآرائهم ، ولقد تحالفنا مع الاتراك ، والآن إذا تركناهم فالى من نذهب بعد عداتنا للانجليز ؟ » فقال : « أما سياستى فهى الانتظار هنا حتى نعرف نتيجة الحالة »

وبعد ذلك قال سموه : « وهناك مسألة أخرى غير مسألة السفير التركى ، وذلك أنك لم تدافع عنى عندما هاجمنى محي الدين بك جلال بخصوص فكرة المستشفى بالاستانة » فرددت عليه بأننى لم أقصر فى الدفاع عن سموه ، وتأدية الواجب الذى يحتمه على ضميرى

ثم تركته على أن أعود في الساعة الثالثة والنصف بناء على طلبه . وبعد خروجنا قال الدكتور سيد كامل : «لنجتهد فى ارجاع الخديو إلى فينا » . ولما اجتمعنا به حسب طلبه كانت المناقشة هادئة ، وحاولت اقناعه بخطر الاقامة في سويسرة إذ يفسر الاتراك ذلك بأنه عداء لهم ، ويدخلون هذا في روع الألمان ويزينون لهم ترك الخديو ، والحملة فى طريقها إلى مصر ؛ ووافق الدكتور على ما قلت . فرد سموه بأنه لا يأتمن الاتراك ؛ ويعتقد أنهم لن يرجعوه إلى أريكته ، وكذلك هو لا يثق بالألمان لأنهم يحابون تركيا؛ وقد كذبوا عليه كثيرا فى وعدهم له بمقابلة الامبراطور .فقلت : « يامولاى أن الألمان لايريدون اغضاب الأتراك وإنه نظراً لسوء التفاهم بيننا وبين رجال الدولة تحاشوا مقابلة سموكم للامبراطور ؛ فاذا حسنا العلاقات مع تركيا تحسنت أيضا مع المانيا »

ثم خرجت والخديو غير مقتنع إلا برأيه بالبقاء فى سويسرا

سوء ظن الخديو برجاله : وقد ظلت الحالة تتحرج بين الخديو والرجال الذين يعملون معه ، ويزداد سوء ظنه بهم يوما بعد يوم ، ويزيد ذلك فى بعدهم وتفرقهم من حوله . ومن ذلك أنه فى يوم ١٠ ديسمبر وكنت بحضرته قال عن فريد : «إنه كان مخلصا ووطنيا ولكن لما اختلط في أوربا بالطلبة فقد مزايا الرجولة ، وأصبح يعتقد أن خلاص مصر انما يكون بانشاء جريدة يكتب فيها كلام ، فى حين أن الكلام يذهب فى الهواء والواجب هو الجهاد والتضحية ! »

وكان هذا بمناسبة عرض فريد لفكرة انشاء جريدة فى سويسرة تدافع عن حقوق مصر ورفض الخديو ذلك فى الوقت الذى اشترى فيه لصاحبته بعض الجواهر وأعطاها مبالغ كثيرة من النقود الألمانية

توجيه انذار لعباس . ونظراً لهذه الأحوال دعوت كلا من محمد فريد بك وعلى الشمسى بك واسماعيل لبيب بك والاستاذ محمد فهمى إلى منزلى ، وتذاكرنا فى هذه الحالة ثم قررنا كتابة الانذار التالى لعباس :

« مولانا الخديو المعظم

« قامت الحرب الأوربية من نحو عام ، وكان سموكم موجودا بالاستانة العلية ولما أردتم العودة الى مصر مقر الأريكة الخديوية منعكم الأنكليز من ذلك ، عندها فكرتم فى الأتفاق مع تركيا ، وقد تم ذلك بينكم وبين سعادة ناظر الحربية أنور باشا

وحضور ممثل دولة ألمانيا الفخيمة البارون وانجنهايم ، وقد رأى الوطنيون أيضاً ضرورة اتفاق جميع طبقات الأمة المصرية على اختلاف احزابها ، والتفافها حول سموكم لانتهاز هذه الفرصة السانحة لتخليص مصر ، لذلك اجتمعنا بالاستانة وقررنا السير معاً للوصول إلى هذه الغاية الشريفة ، فلما شعر الانكليز بأن سموكم يعمل بالاتفاق مع رجال تركيا والوطنيين المصريين طلب سفيرها بالاستانة منكم السفر الى إيطاليا للاقامة بها ، حتى تضع الحرب أوزارها ، فرفضتم الانصياع لأوامر الدولة المحتلة وفضلتم تحمل كل ما ينجم عن ذلك من النتائج السياسية وغيرها ، وقد وقع هذا العمل موقع الاستحسان لدى المصريين والعالم الأسلامي أجمع ، وفي أول شهر نوفمبر خاضت الدولة العلية غبار هذه الحرب الضروس ، وفى ١٥ ديسمبر سنة ١٩١٤ سافرتم إلى ويانة حسماً للنزاع القائم بين جنابكم العالى ودولة الصدر الأعظم لأسباب أغلبها عائلية قديمة ، وفى ١٨ منه أعلنت انكلترا الحماية على مصر ، وقررت عزل سموكم وتعيين حسين كامل سلطاناً عليها .

وقد اجتمع الوطنيون في مدينة لوسرن من أعمال سويسرة تحت رئاسة جنابكم العالى ، فتقرر مبدئياً تعيين لجنة مركزية تعمل بالاشتراك معكم فى جميع الأعمال السياسية ، وفى اجتماع آخر فى ويانة تأيد هذا القرار ، ولكن نلاحظ مع الأسف إهمال تنفيذه . وفي شهر يونيه سنة ١٩١٥ اجتمع ممثلو الوطنيين بأوروبا مع بعض رجال حاشيتكم لبحث الحالة السياسية ، وتقرير الخطة الواجب اتباعها لتحقيق آمالنا الوطنية ، وبعد عدة جلسات تقرر بالأجماع ضرورة عودة سموكم إلى دار الخلافة حتى تكونوا بجانب جلالة الخليفة المعظم فى شهر رمضان على الأقل ليزول سوء التفاهم ، وتتحسن علاقتكم الشخصية مع بعض رجال الحكومة العثمانية . فرفضتم أولا ، وبعد إلحاح شديد أفهمتمونا بأنكم ستتروون فى هذا الأمر . بعد ذلك سافر كل منا إلى وجهته ، وسافرتم سموكم إلى كارلسباد بعد أن زرتم جناب ناظر خارجية النمسا وسفيرى الدولة العلية وألمانيا ، وعرفتموهم بأن ذهابكم إلى كارلسباد هو للاستشفاء ، ثم تعودون إلى ويانه .

أقمتم ثلاثة أيام فى كارلسباد ، ثم عدتم خفية إلى ويانه بعد أن خابرتم سعادة يوسف باشا صديق لانتظاركم ؛ ثم سافرتم ليلا إلى السويسرة بدون أن يعلم أحد من حلفائكم بتغيير وجهتكم ، واستصحبتم معكم كل عفشكم ، وأتيتم إلى لوسرن بقصد الاقامة بها وعدم العودة كما ظهر لنا من أقوالكم أخيراً

ولما علمت الدولة العلية بمجيئكم إلى السويسرة بهذه الصورة غير المرضية داخلها الشك فى أن قصدكم من وجودكم فى بلد محايدة التمكن من مخابرة الأعداء للانضمام معهم ضدها وضد حلفائها ،فكلفت قنصلها فى جنيف بأن يبلغكم رغبتها في أن تعودوا للأستانة منعاً للشبه ، فوعدتم بأرسال الجواب على ذلك إلى الأستانة؛ وفعلا كلفتم صهركم جلال الدين باشا الذى كان إذ ذاك بالأستانة بأن يقابل سعادة ناظر الداخلية طلعت بك ،ويخبره بعزم سموكم على العودة فى شهر سبتمبر ،وبعد أسبوع تقريباً عاد إليكم القنصل ،ومعه خطاب آخر يلح عليكم بالعودة فى أقرب وقت ، فرفضتم استلام الجواب المذكور ، وأرسلتم جواباً إلى دولة الصدر ، وآخر إلى سعادة ناظر الداخلية طلعت بك مظهرا استياءكم من هذه المعاملة ، وقبل أن يصل إلى سموكم الرد على ذلك أرسلتم خطاباً آخر إلى جلالة السلطان مكررين الشكوى ومعلنين عزمكم على البقاء بسويسرة حتى نهاية الحالة الحاضرة ، التى تتمنون أن يكون ختامها في مصلحة الدولة

أثناء مجىء أحدنا اسماعيل لبيب بك من الأستانة قابل فى ويانة يوسف صديق باشا ، وسأله عن أسباب ذهابكم إلى السويسرة ، وصدور أمركم بقطع مرتبه ؛ فقال : « تركت الجناب العالى لأنه سائر فى طريق سياسى مضر به وبالبلاد ، ولأنه ممتنع عن أن يرد الى الحكومة الألمانيـة مبلغ مليون وستمائة ألف فرنك الباقى لديه من مبلغ خمسة ملايين فرنك ، كان أخذها ليصرفها فى فرنسا وإيطاليا لمشترى الجرائد وبعض النواب ورجال السياسة ، ولانه يتخابر الآن مع فرنسا وانكلترا لتحفظا له أملاكه فى مصر والواسطة فى ذلك باغوص نوبار باشا وأغاطون بك الأرمنيين ، وأنه كتب جواباً إلى بولو باشا الفرنساوى يفوضه تفويضاً تاماً فى مخابرة الأعداء فيما يختص بمصالحه الشخصية ، والمسألة المصرية ؛ وأن هذا الجواب محفوظة صورته الفتوغرافية فى نظارة خارجية فرنسا . ولما أخبرنا اسماعيل بك بأقوال يوسف صديق باشا رأينا أن يسافر ليقابل جنابكم العالى ،ويتحقق منكم صحة ما ينسبه اليكم الباشا المذكور سافر إلى لوسرن ووجدهنا شفيق باشا ،فقابلا سموكم معاً، وعرضا عليكم العودة إلى النمسا أو ألمانيا ،فاظهرتم عدم الرغبة فى ذلك مطلقا ؛ وكانت نتيجة المقابلة أن اعترف سموكم بقبض المبلغ وصرف أغلبه فيما كلفتم به ؛ وانكم ستردون الباقى بعد عمل الحساب . أما عن مخابرة الأعداء فنفيتموها ، واعترفتم فقط بتكليفكم أغاطون بك بالذهاب إلى مصر لملاحظة أشغالكم الزراعيـة ، وإفادتكم عنها . بعد ذلك سافر إلى لوسرن

فريد بك وعلى الشمسى بك ، وقابلا سموكم أيضاً ،فكان جوابكم لهما كجوابكم لزميليهما ثم أطلعتموهما على صورة الجواب الذى أرسله جنابكم العالى إلى جلالة السلطان وسبق ذكره

« يلاحظ الموقعون على هذا بكل أسف ، أن سمو الخديو لم يحسن عملا فى قبوله التوسط لدى رجال الصحافة والسياسة فى فرنسا وايطاليا ،ووضع نفسه موضعاً لا يتفق مع كرامة سموه وشرف الأمة التى يمثلها جنابه العالى، كما أنهم يلاحظون أيضا أن سموه محاط بأشخاص من رعايا الدول المعادية ، وله بواسطتهم علاقات مع تلك الحكومات لا نعرف حقيقتها ، ونعرف من هؤلاء الوسطاء المسيو بولو (باشا) الفرنساوى والمسيو كافالينى الطليانى ، ومدام روشبرن الفرنساوية التى تحمل جوازين أحدهما فرنساوى والآخر ارجنتينى

«وقد استدعاها سموه إلى ويانه ثم ارسلها إلى فرنسا بمأمورية كما تدعى،وهى معرفة أفكار الفرنسيين والانجليز نحوه ، وهل يوجد استعداد لديهم للدخول فى المخابرة معه ، وقد قالت إلى أحدنا الشمسى بك،إنها قابلت سكرتير سفارة انكلترا بباريس،فاظهر لها أن الحكومة الانكليزية لا تود مطلقاً الدخول فى مخابرات مع سموه لانها تعتبره كمية مهملة ، لأنه مجرد عن كل نفوذ حقيق ؛ وإذا كان معه الآن الوطنيون الذين كانوا بالأمس ضده ، فما كان ذلك إلا لأنه سائر في طريقهم ، فاذا أراد الاتفاق معنا انفضوا من حوله . أما رجال السياسة فى فرنسا فقالوا إنهم مستعدون للتوسط بينه وبين الحكومة الانكليزية ، لضمانة أملاكه بعد أن يتنازل عن حقوقه في الخديوية ،وأن يعلن الأسباب التى حملته على ترك ألمانيا ،وتركيا بشرط أن تكون تلك الأسباب مشينة ،وتدل على خيانتهما له ؛ وقالت لغيره أيضا:وإن سموكم طلبتم منها الذهاب الى الآستانة ، وعمل المساعى اللازمة بواسطة من تعرفه هى من الضباط الاتراك للتوصل للذهاب إلى جناق قلعة لزيارة معاقل الدردنيل ، وتقديم تقرير عنها لسموكم»

« وبهذه المناسبة نذكر أن من ضمن ماقاله يوسف باشا إلى أحدنا اسماعيل بك لبيب إنكم قلتم له بأن لديكم معلومات ورسوماً مهمة جداً عن جهات الاناضول تريدون تقديمها إلى ايطاليا إذا دخلت الحرب ضد تركيا

« ورغما من أن اسماعيل بك حذر سموكم من هذه المرأة لما يحيط بها من الشكوك فانها في ثانى يوم حضرت إلى لوسرن ، وتشرفت بمقابلتكم مرات عدة ، وتدعى الآن أنكم ستدعونها قريبا لتقيم بجواركم

لذلك يرى الموقعون على هذا أنه من الواجب عليهم نحو سموكم، ونحو مصر العزيزة أن يلتمسوا من جنابكم العالى ، أولا - رد ما يكون باقيا لديكم من نقود ألمانيا فورا . ثانيا - قطع كل علاقة مع هؤلاء الأشخاص بولو اخوان ومن على شاكلتهم . ثالثا - العودة إلى الاستانة أو على الاقل الى إحدى بلاد ألمانيا أو النمسا . رابعاً - تنفيذ ما تقرر فى اجتماع لوسرن فى شهر ابريل الماضى ، وتأيد فى اجتماع ويانه فى شهر يونيه ، من وجود لجنة مركزية تمثل الوطنيين بجانب سموكم لتشترك معكم فى كل الأعمال السياسية الخاصة بمصر

هذه هى طلباتنا يامولانا ، نقدمها بكل احترام إلى سموكم ، راجين قبولها لأن فيها دون غيرها تحقيق آمالنا ، وحفظ شرف خديوينا وكرامة أمتنا ، وإننا نعد سموكم بأننا نعمل معكم إذ ذاك بكل إخلاص وصدق كما كنا للآن ، وإلا فواجبنا الوطنى يحتم علينا أن نسلك طريقا آخر ، يكون فيه تحقيق آمالنا ، وسلامة وطننا العزيز

المخلصون لسموكم

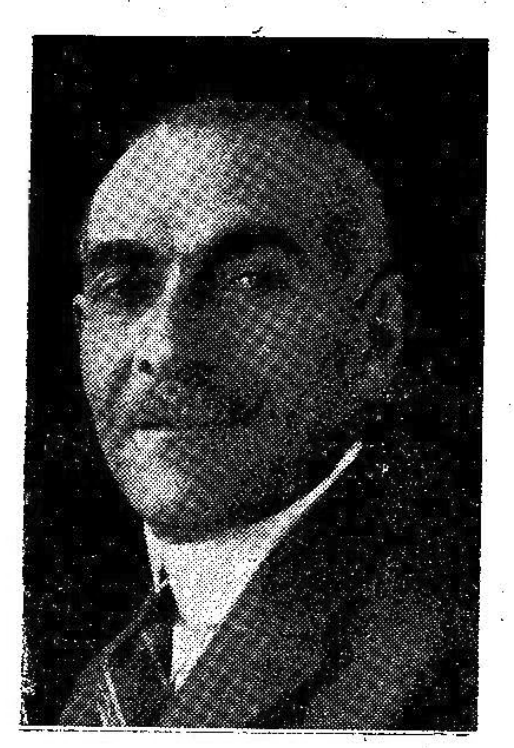
محمد فريد — على الشمسى — اسماعيل لبيب
محمد فهمى — احمد شفيق



محمد فريد بك



على الشمسى بك



الاستاذ محمد فهمى



اسماعيل لبيب بك

وتقرر بيننا أن أرفع أنا هذا الأنذار للجناب الخديوى ، ولكن لما علمنا أن الخديو — رغم معارضة صاحبته لوزانج الفرنسية - قد سوى حساب باقى النقود الألمانية مع موسيو پادل - الذى انتدبته وزارة الخارجية الألمانية لهذا الغرض — عدلنا عن تقديم الأنذار وانتزعنا امضاءاتنا منه

شؤون مختلفة :

محب باشا فى نظر الألمان : فى يوم ١٩ فبراير قابلت موسيو الكساندر فسألنى عن رأيى فى محب باشا ، وعما إذا كان مخلصاً للخديو ؟ فقلت : « الظاهرأنه مخلص » وأخبرته بما ورد فى كتاب رشدى باشا بقبول النظارة السلطانية فى مصر ، وخروج محب منها ، وأنه يفهم من هذا الكتاب عدم مشاركته للنظار فى تصرفهم . فقال الكساندر : « إن محباً أرسل الى الأستانة ثم إلى إيطاليا من قبل الانجليز للتجسس على المصريين الذين أبعدوا من مصر ؛ وسأنقل كل ذلك شفهياً للخديو ؛ ولو حضر محب باشا لبرلين ؛ وطلب منى أن أعطى معلوماتى بخصوصه ؛ فلا أقول إلا بمنعه من الأقامة وطرده منها

وفى يوم ٢١ منه سأل البارون اوبنهايم يوسف صديق عن محب ، فأجابه

بأنه يظن أنه مخلص للخديو، ولو أن المصريين لايرون ذلك، لاعتقادهم بأنه صنيعة الانجليز

وقد سألنى البارون كذلك فأجبته بما أجبت به الكساندر، وتبين لى أن سبب هذه الأسئلة أن البارون قابله، وهو معجب بأفكاره ويريد التأكد من إخلاصه

حفلة وداع لهندى كبير وخطبتى فيها: في يوم ٢٢ ابريل دعانى محمد بركة الله افندى الهندى، وكنت قد تعرفت اليه من قبل عند البارون أوبنهايم، لتناول الشاى في فندق شاهين باشا بالأستانة. وكانت هذه الحفلة قد أقيمت لوداعه قبل رجوعه إلى الهند للقيام بأعمال اسلامية. وقد حضرها نحو ثلاثين مدعواً من بينهم الدكتور نظمى، وهو عضو مسلم فى جمعية الاتحاد، وأسعد باشا الحكيم، والشيخ الرئيس العجمى، ومن المصريين الدكتور سيد كامل، والدكتور احمد فؤاد، وحلمى مسلم وحضر كذلك البارون.

وبعد تناول الشاى ألقى بركة الله خطاباً بالعربية، شكر فيه الحاضرين على تلبية الدعوة ثم ودعهم بأسلوب لطيف.

وقام بعده أحد الحاضرين فتمنى له سلامة الوصول، ودعا للمسلمين، والخليفة السلطان محمد رشاد.

ثم أعقبه البارون فقال بالعربية: «إنه هو وإخوانه الألمان مسرورون باتحاد العناصر الاسلامية لتقوى بالاتحاد، وألمانيا تساعدهم لأن ذلك فى صالحها وصالحهم»

وبعد ذلك دعانى بركة الله لأقول شيئا فقلت: «ماذا أقول بعد ما سمعناه من الخطباء إلا الأعراب عن الغبطة والسرور بهذا الاجتماع، وإلا أن نتمنى لبركة الله افندى السلامة فى السفر والاقامة، والنجاح في مهمته، ثم طلبت اليه أن يهدى تحياتنا لأخواننا الهنود ويقول لهم: «إن الفرصة سانحة للمسلمين ليهبوا من رقادهم، ويتحدوا قلباً وقالباً، فيد الله مع الجماعة، وينبغى أن نلتف جميعاً بحرم الخلافة لتكون لنا وجهة واحدة»

وقد انفضت الحفلة ولم يخطب فيها أحد من الأتراك

الاتحاد العربى: فى يوم ١١ مايو كنت مسافراً من فينا إلى جنيف لأمور عائلية. وقد لقيت البرنس محمد على وشكرى بك سكرتيره. ولما انفردنا قص على البرنس أموراً هامة عن بلاد العرب، فقال: إنه فى العام الماضى شكلت لجنة سميت بالمؤتمر تحت

رياسة سموه وفيها من الأعضاء : طالب بك من البصرة ، ومندوبون عن الشام ومكة والادريسى وغيرهم . وكان الغرض من المؤتمر السعى إلى توثيق الاتفاق بين أمراء الجزيرة وإنشاء إدارة داخلية خاصة لكل منطقة يحكمها أمير عربى ، وأن تنتخب الدولة حكاما وقضاة يعرفون العربيـة . وأن تدرس اللغة العربيـة فى جميع المدارس بتلك البلاد .

ولكن لما كانت الضغائن بين أمراء العرب شديدة ، فكروا فى انتخاب الخديو للرياسة . ونظراً لما يعلمونه من تردده قر قرارهم على انتخاب البرنس محمد على .

ولما نشبت الحرب توقفت أعمال المؤتمر وقر القرار على توصية العرب بأن لايتمردوا على الدولة ، بل عليهم مساعدتها حتى تنتهى الحرب ، وبعد ذلك ينظر المؤتمر فيما يجب عمله



الاستاذ عبد العزيز الثعالبى

وقدعرفت فيما بعد من الوطنى الكبير الأستاذ عبد العزيز الثعالبى أنه تألفت لجنة عربيةفى باريس لعقدمؤتمرعربى بها ؛ وفى يوم ١٨ يونيوسنة ١٩١٣ افتتح المؤتمر جلسته الأولى فى قاعة الجمعيـة الجغرافية برياسـة السيد عبد الحميد الزهراوى ، وشهده ثلاثة وعشرون مندوباً عن مختلف البلاد العربية . ثم عقدت ثلاث جلسات أخرى وانفض المؤتمر على القرارات الآتية :

١ — إن الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة .

٢ — من المسلم به أن يكون مضموناً للعرب التمتع بحقوقهم السياسية، وذلك بأن يشتركوا فى الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا .

٣ — يجب أن تنشأ فى كل ولاية عربية إدارة مركزية تنظر فى حاجاتها وعاداتها

٤ — كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها بلائحة خاصة قبلت يوم ٣١ ينايرسنة

١٩١٣ باجماع الآراء ، وهى قائمة على مبدأين أساسيين وهى توسيع سلطة المجالس العمومية ، وتعيين مستشارين أجانب : فالمؤتمر يطلب تنفيذ هذين الطلبين وتطبيقهما

٥ — اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة في مجلس النواب العثمانى ، ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية رسمية فى الولايات العربية

٦ — تكون الخدمة العسكرية محلية فى الولايات العربية ، إلا في الظروف والأحيان التى تدعو الى الاستثناء الأقصى.

٧ — يتمنى المؤتمر على الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل ماليتها.

٨ — يقرر المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الأرمن العثمانيين القائمة على أساس اللامركزية ، ويرسل لهم تحياته بواسطة مندوبيهم ، ويحيى العراق

٩ — يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية

١٠ — وتبلغ هذه القرارات أيضا للحكومات الأوروبية . ويشكر المؤتمر الحكومة الافرنسية شكراً جزيلا لترحابها الكريم بضيوفها

وقرر المؤتمر كذلك قرارات داخلية أخرى هى :

١ — اذا لم تنفذ القرارات التى أقرها هذا المؤتمر ، فالأعضاء المنتخبون فى لجان الأصلاح العربية يمتنعون من قبول أى منصب كان فى الحكومة العثمانية إلا بموافقة خاصة من الجمعيات التى ينتمون اليها .

٢ — تكون هذه القرارات برنامجاً سياسياً للعرب العثمانيين ، ولا يمكن مساعدة أى مرشح في الانتخابات التشريعية إلا إذا تعهد من قبل بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه .

٣ — المؤتمر يشكر مهاجرى العرب على وطنيتهم فى مؤازرتهم له .

وقد حمل القرارات الأولى إلى وزير خارجية فرنسا وفد عن المؤتمر برياسة رئيسه فاستقبله الوزير بالترحاب ، وألقى تصريحاً اتضح منه للأعضاء أنه يريد اتخاذ عمل المؤتمر ومساعيه سبباً للتدخل فى شؤون تركيا ، فبادر أحد أعضائه بالرد على ذلك مؤكدا أن البلاد العربية لا تريد إلا تأييد فرنسا لها فى مطالبها الاصلاحية ، مع إخلاصها للدولة ، وتمسكها بالجنسية العثمانية

وقد أرسلت جمعية الاتحاد والترقى مندوبا تركيا وهو مدحت بك شكرى للاتصال بالمؤتمر فى باريس . وقد تم الاتفاق بينه وبين أعضائه على مايأتى

١ — يكون التعليم بالدورتين الابتدائية والثانوية فى جميع البلاد العربيـــة باللغة العربية، ويكون بالتركية فى الأقسام العالية .

٢ — يكون جميع رؤساء المصالح والموظفين، ما عدا الولاة، عارفين اللغة العربية. ويكون تعيين القضاة، ورؤساء القضاء الذين ينصبون بارادة سنية فى العاصمة. أما من عداهم من الموظفين فيعينون من الولاية .

٣ — تترك ادارة الأوقاف الموقوفة للجهات الخيرية المحلية لمجالس الجماعات المختلفة

٤ — تترك الأمور النافعة (الأشغال العامة) للادارة المحلية .

٥ — يخدم المجندون فى المناطق العسكرية القريبة من بلادهم؛ ويختار الجند الذين تدعو الحاجة الى إرسالهم الى اليمن وعسير بنسبة عادلة من جميع أبناء السلطنة العثمانية .

٦ — مقررات المجالس العمومية تكون نافذة فيما هو من اختصاصها القانونى .

٧ — يكون مبدئياً فى الوزارة ثلاثة من أبناء العرب، ويعين منهم عدد من المستشارين والمعاونين فى الوزارة، ويكون منهم اثنان أو ثلاثة فى كل مجلس من مجالس شورى الدولة، ومحكمة التميز، والمشيخة الاسلامية، وبقية المصالح الأخرى، ويكون منهم أربعة أو خمسة على الأقل فى الدوائر المختلفة من كل وزارة .

٨ — يعين خمسة ولاة على الأقل من العرب، وعشرة متصرفين، وينصف الذين لم يرقوا منهم، ويعاملون معاملة زملائهم من موظفى الملكية والحقانية والشرعية الترك .

٩ — يعين عدد من العرب فى مجلس الشيوخ بنسبة اثنين من كل ولاية .

١٠ — يستخدم مفتشون اخصائيون من الأجانب فى كل ولاية بنسبة الحاجة وتحدد وظائفهم واختصاصهم بنظام خاص

١١ — تكون المعاملات الرسميـة فى البلاد العربية باللغة العربية على أن ينفذ ذلك تدريجياً .

وقد حمل المندوب العثمانى هذه القرارات إلى الاستانة ومعه أحد أعضاء المؤتمر بعد ذلك أعلنت الحكومة العثمانية عزمها على تنفيذ الاصلاحات، فاستصدرت بذلك إرادة سلطانية فى ٣ اغسطس سنة ١٩١٣

وقد ارتاح العرب لذلك وعدوه خطوة طيبة في سبيل تحقيق مقاصدهم ولكن هذه الأصلاحات وقف تنفيذها نظرا لأعلان الحرب، وماحدث بعد ذلك من الجفاء بين العرب والدولة

وقد أطلعت حضرة صاحب السعادة عزيز على المصرى باشا على هذا الموضوع، فقال:
« عقد هذا المؤتمر وأنا في بنى غازى، وكنت قد استقلت من الجيش العثمانى اثر انعقاد الصلح مع ايطاليا، لأداوم على الدفاع عن بنى غازى، وذلك بناء على رجاء رؤساء العشائر، غير أنى أتذكر أن نسخة من قراراته وردت إلى مصحوبة بكتاب يحثنى على طلب تنفيذها من الدولة العثمانية وبقية الدول

ولما كان هذا الكتاب قد وصلنى مع أخبار اندحار الجيوش العثمانيـة فى البلقان، ووصول البلقانيين إلى ضالجة، فاننى أجبت بأنه لا يمكننى تنفيذ هذه القرارات أو التفكير فيها، فى وقت انهزمت فيه الجيوش العثمانية هزيمة ترجع أسبابها فى اعتقادى للاختلافات الحزبية البرلمانية التى شتتت آراء الجيش مع قوته.

عزيز على المصرى باشا

وأرى أن واجب العرب في الوقت الذى هزم فيه الجيش العثمانى أن يهبوا كرجل واحد لدرء هذا الخطر، فيكسبوا بذلك ما يطلبونه، مع ارتياح اخوانهم العثمانيين وتقديرهم.

أما الاستفادة من هذه اللحظة الخطيرة أمام العدو المشترك فهى سياسة لا تتفق مع الشهامة الشرقية، الأخلاق الكريمة الموروثة فى العرب

على أن أكثر هذه القرارات لم يكن مخالفا لرأيى، وما نفرت منها إلا لظروفها من جهة ولانعقاد المؤتمر فى باريس، مع ما هو معلوم من ميول فرنسا الاستعمارية فى سوريا، ولأن المؤتمر قدم قراراته لوزير خارجية فرنسا، وهذا ما عددته خيانة للجامعة الشرقية

وبسبب موقفى هذا أصبح المرحوم الزهراوى ضدى، ولهذا أيضاً قررت انشاء « جمعية العهد » لمنع تلاعب بعض السوريين واللبنانيين مع الدول الاجنبية، ولذلك كان عمادها الضباط. وكان أول موادها ما يأتى:

١ — الاتراك من ستمائة سنة يقفون فى المخافر الأمامية تجاه الغرب، فعلى العرب أن يكونوا احتياطيا لامداد هذه المخافر... الخ

وقد كنت أمليها على اليوزباشى طه الهاشمى (الفريق طه باشا الهاشمى) فلما فرغت من المواد قال لى: « ولماذا تجعلها سرية؟ ولو أعلناها لفرح لها الاتراك لأن هذه الجمعية هى أضمن تشكيل للمحافظة على كيان الدولة »..